مؤتمر ظاهرة التكفير .. الأسباب .. الآثار .. العلاج

المحور ٣- البحث ١٤

الأسباب الفكرية المؤدية لظاهرة التكفير

د. عبدالعزيز بن جليدان هاجد الظفيري

الأستاذ المساعد في قسم العقيدة في كلية الدعوة وأصول الدين في الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة

المقدمة

إن الحمد لله نحمد، ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسئيات أعمالنا من يهده الله فلا مضل الله ومن يضلل فلا هادي له وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، أما بعد:

فإن مسائل التكفير من المسائل المهمة والتي قد كثر فيها النزاع من قديم الزمان، لما خالف الخوارج سائر المسلمين وكفروهم وسفكوا الدماء وعاثوا في الأرض فساداً، ولم تنقطع تلك الحقبة حتى تكرر في التاريخ الإسلامي ظهور هذه الفرقة، مصداقاً لقول النبي – ﷺ –: «كلما خرج قرن قطع أكثر من عشرين مرة حتى يخرج في عراضهم الدجال[1]»، فلكل قوم وارث، وفي زماننا هذا تكاثرت فيه اعتقادات الخوارج، ومن أبرزها تكفير الحكام والشعوب من غير استثناء، واستشرى ضررهم وإفسادهم، فسلِم منهم الكفار، ولم يسلَم المسلمون كما قال النبي – ﷺ – في صفتهم: «يقتلون أهل الإسلام، ويدعون أهل الأوثان[2]»، وقد تخبّط في مسائل التكفير كثير من الشباب، وانحرفوا عن فهم سلفهم الصالح، حيث تأثروا بالأفكار الوافدة، والتي تحمل فكر الخروج الذي حارب أصحابه صحابة رسول الله – ﷺ –، وكان للقول بالتكفير عدة أسباب أدت إلى القول به، وهذه الأسباب قد تجتمع كلها أو بعضها لدى من كفر بالباطل.

(١) أخرجه ابن ماجه في سننه (٦٢/١)، وحسنه الألباني في صحيح الجامع رقم (١٤١٣١).
(٢) سيأتي تخريجه، وهو في قصة ذي الخويصرة.

وقد اخترت أن يكون موضوع البحث الذي أريد تناوله: "الأسباب الفكرية المؤدية لظاهرة التكفير".

أهمية الموضوع وأسباب اختياره:

١- يكتسب الموضوع أهميته من تعلقه بمسألة عظيمة وهي مسألة الأسماء والأحكام، والإيمان والكفر.

٢- ضلال الكثير من الفرق والجماعات واختلال فهومهم، والاطلاع على الأسباب المؤدية لظاهرة التكفير تمنع بإذن الله من الوقوع فيها، فمن عرف الشر كان حرياً به ألا يقع فيه.

٣- ومعرفة أسباب هذه المقالة يمكن من خلالها معالجة أصحابها، ولا سيما من أبناء جلدتنا الذين تلوثوا بهذه المقالة، فدراسة هذه الأسباب تعتبر تمهيداً لمعالجتها، كما قال شيخ الإسلام – رحمه الله –: (ومن لم يعرف أسباب المقالات وإن كانت باطلة؛ لم يتمكن من مداواة أصحابها وإزالة شبهاتهم[1].

خطة البحث:

وتشتمل خطة البحث على تمهيد وأربعة مباحث:

أما التمهيد: ففي تعريف التكفير وخطره، وفيه مطلبان:

المطلب الأول: تعريف التكفير.

المطلب الثاني: خطر التكفير.

المبحث الأول: الجهل.

(١) تلخيص كتاب الاستغاثة (١/١٨٢).

المبحث الثاني: اتباع الهوى.

المبحث الثالث: التأويل الفاسد.

المبحث الرابع: مخالطة الجماعات المنحرفة والتلقي عن أصحابها.

أما الخاتمة: فذكرت فيها أهم النتائج التي توصلت إليها خلال البحث.

منهج البحث:

١- عزو الآيات القرآنية بذكر اسم السورة ورقم الآية في الحاشية.

٢- تخريج الأحاديث النبوية من مصادرها المشهورة، فإن كان الحديث في الصحيحين أو في أحدهما فإني أكتفي بالعزو إليهما، وإلا فإني أخرجه من بقية مصادر السنة مع ذكر حكم بعض أهل العلم عليه.

٣- تخريج الآثار الواردة عن السلف.

٤- عند ذكر الأسباب المؤدية للتكفير فإني أحرص على ذكر أمثلة عليها من التاريخ الإسلامي في قديم الزمان وكذا في هذا الزمان.

تمهيد
في تعريف التكفير وخطره

وفيه مطلبان:

المطلب الأول
تعريف التكفير

الكفر في اللغة يطلق على الستر والتغطية، فأصله تغطية الشيء تغطية تستهلكه، قال ابن فارس: (الكاف والفاء والراء أصل صحيح يدل على معنى واحد، وهو الستر والتغطية[1]، والكافر ذو كُفر أي ذو تغطية لقلبه بكفره، كما يقال للابس السلاح: كافر، وهو الذي غطاه السلاح، وكل من ستر شيئاً فقد كَفَرَه وكَفّره، وتقول العرب للزارع: كافراً؛ وذلك لأنه يَكْفُرُ البَذر المبذور بتراب الأرض المثارة إذا أَمَرّ عليها مالقه[2].

ومنه قوله – تعالى –: ﴿ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ﴾[3]، فالكفار هنا المراد بهم الزرّاع، وذلك أنه إذا أعجب الزرّاع نباته مع علمهم به فهو في غاية ما يستحسن، وهذا على قول بعض أهل اللغة والتفسير[4].

ومنه قيل لليل كافر؛ وذلك لأنه ستر بظلمته كل شيء وغطاه[5].

وأما تعريف الكفر في الشرع فقد اختلفت عبارات أهل العلم فيه، فممّا

(١) مقاييس اللغة (١٩١/٥).
(٢) انظر: لسان العرب (٨٥/١٣–٨٦)، ومختار الصحاح (ص/٥٧٤).
(٣) الحديد: ٢٠.
(٤) انظر لسان العرب (٨٦/١٣)، ومختار الصحاح (ص/٥٧٤).
(٥) انظر: لسان العرب (٨٦/١٣)، ومختار الصحاح (ص/٥٧٤).

قيل في تعريفه: أنه نقيض الإيمان[1]، وقيل: هو أن يجحد الوحدانية أو النبوة أو الشريعة أو ثلاثتها[2]، وقيل: هو عدم الإيمان سواء اعتقد نقيضه وتكلم به، أو لم يعتقد شيئاً ولم يتكلم[3]، وقيل: هو جحد ما جاء به الرسول – ﷺ – أو جحد بعضه[4]، ويطلق الكفر في الشرع ويراد به تارة الكفر الأكبر وتارة الكفر الأصغر.

والتكفير المراد منه النسبة إلى الكفر، وهو الكفر الأكبر، يقال أكفرت الرجل: دعوته كافراً، وحكمت عليه بذلك، وكفّر الرجلَ: نسبه إلى الكفر، وحكم بكفره[5]، فعلى هذا يكون التكفير هو أن يسلب الإيمان عمن قام به، وإحلال اسم الكفر مكانه.

والتكفير حكم شرعي مرجعه الكتاب والسنة، والتكفير منه ما هو حق ومنه ما هو باطل، فالتكفير الحق ما قام الدليل على كونه كفراً وانطبقت الشروط وانتفت الموانع عمّن تلبس به، وقامت الحجة الرسالية عليه، فإن هذا لا يجوز الشك في كفره.

وأما التكفير الباطل فهو المخالف للنصوص الشرعية، والضوابط المرعية التي نص عليها الأئمة والعلماء، وفي ذلك يقول شيخ الإسلام – رحمه الله –: (فإن الكفر والفسق أحكام شرعية، ليس ذلك من الأحكام التي يستقل بها العقل، فالكافر من جعله الله ورسوله كافراً، والفاسق من جعله الله ورسوله فاسقاً، كما أن المؤمن والمسلم من جعله الله ورسوله مؤمناً

(١) انظر: تهذيب اللغة للأزهري (٣١٦٢/٤).
(٢) انظر: مفردات ألفاظ القرآن للراغب الأصفهاني (ص/٧١٥).
(٣) انظر: مجموع الفتاوى (٨٦/٢٠).
(٤) انظر: الإرشاد إلى معرفة الأحكام للسعدي (ص/٢٠٣).
(٥) انظر: لسان العرب (٨٦/١٣)، ومختار الصحاح (ص/٥٧٤)، ومفردات ألفاظ القرآن (ص/٧١٦).

ومسلماً..[1]، وقال – رحمه الله –: (فلهذا كان أهل العلم والسنة لا يكفّرون من خالفهم وإن كان ذلك المخالف يكفّرهم؛ لأن الكفر حكم شرعي، فليس للإنسان أن يعاقب بمثله، كمن كذب عليك وزنى بأهلك ليس لك أن تكذب عليه وتزني بأهله؛ لأن الكذب والزنى حرام لحق الله تعالى، وكذلك التكفير حق لله فلا يكفَّر إلا من كفّره الله ورسوله[2]".

والمراد من هذا البحث ذكر أهم أسباب التكفير الباطل المخالف للشرع، والذي لم يقم الدليل عليه.

وهذه الأسباب هي أهم أسباب التكفير عموماً، وقد يكون هناك أسباب أخرى لكن الكثير منها يندرج تحت هذه الأسباب العامة، وقد تجتمع هذه الأسباب في حق الجماعات والأفراد الذين كفروا بالباطل، وقد يجتمع بعضها أو فرداً منها لديهم.

(١) منهاج السنة (٥/٩٢).

(٢) تلخيص كتاب الاستغاثة (٢/٤٩٢).

المطلب الثاني
خطر التكفير

إن أمر التكفير خطير للغاية؛ حيث إن فيه إخراجاً من الإسلام إلى الكفر، وقد عدّ بعض العلماء تكفير المسلمين من الكبائر[1]، وجاء الوعيد الشديد لمن كفّر أخاه، والأصل في المسلم الظاهر العدالة بقاء إسلامه وبقاء عدالته حتى يتحقق زوال ذلك عنه بمقتضى الدليل الشرعي، والإقدام على التكفير من غير دليل شرعي من سبيل أهل البدع، قال الإمام محمد بن عبدالوهاب – رحمه الله –: "والتجاسر على تكفير من ظاهِرُه الإسلام من غير مستند شرعي، ولا برهان مرضي، يخالف ما عليه أئمة العلم من أهل السنة والجماعة، وهذه الطريقة هي طريقة أهل البدع والضلال"[2]، ولا يجوز التساهل في تكفيره أو تفسيقه[3]، إذ إن التساهل في التكفير يترتب عليه عدة أمور، يمكن إيجازها فيما يلي:

١- افتراء الكذب على الله تعالى في الحكم والمحكوم عليه في الوصف الذي نبزه به[4].

٢- الوقوع فيما نبز به أخاه إن كان سالماً منه قال النبي – ﷺ –: «أيما رجل قال لأخيه: يا كافر، فقد باء بها أحدهما[5]».

(١) انظر: إعلام الموقعين (٤/٤٨٩)، والكبائر للذهبي (ص/٣٦٩).
(٢) مجموعة الرسائل والمسائل النجدية (٣/٢٠).
(٣) انظر: القواعد المثلى في صفات الله وأسمائه الحسنى للشيخ ابن عثيمين (ص/٨٦).
(٤) انظر: المرجع السابق (ص/٨٦).
(٥) أخرجه البخاري في صحيحه، ك: الأدب، باب من كفر أخاه بغير تأويل فهو كما قال، (ص/١٠٦٤)، رقم (٦١٠٤)، ومسلم في صحيحه ك: الإيمان، باب بيان حال إيمان من قال لأخيه المسلم يا كافر، (ص/٢٩)، رقم (١١١)، من حديث عبدالله بن عمر رضي الله عنهما.

٣- أن من حكم عليه بالكفر فإن أحكام الكفر تثبت عليه، فتنزل عليه أحكام المرتد المعروفة في كتب الفقه، من عدم الصلاة عليه، وعدم دفنه في مقابر المسلمين وغير ذلك.

وهذه المسائل جدّ خطيرة، ولذلك لم يفقها كثير ممن عقد ألوية التكفير وأطلقها على المسلمين، قال أبو العباس القرطبي –رحمه الله–: "وباب التكفير باب خطير، أقدم عليه كثير من الناس فسقطوا، وتوقف فيه الفحول فسلموا، ولا نعدل بالسلامة شيئاً"(١)، وقال شيخ الإسلام – رحمه الله –: "ولهذا يجب الاحتراز من تكفير المسلمين بالذنوب والخطايا فإنه أول بدعة ظهرت في الإسلام فكفر أهلها المسلمين واستحلوا دماءهم وأموالهم وقد ثبت عن النبي – ﷺ – أحاديث صحيحة في ذمهم والأمر بقتالهم، قال الإمام أحمد بن حنبل – رضي الله عنه –: "صح فيهم الحديث من عشرة أوجه"، ولهذا قد أخرجها مسلم في صحيحه وأفرد البخاري قطعة منها(٢)"، وقال ابن عساكر – رحمه الله – لما أورد جملة من الأخبار فيها التحذير من التكفير: "فهذه الأخبار تمنع من تكفير المسلمين، فمن أقدم على التكفير فقد عصى سيد المرسلين(٣)"، فنشأ عن التسرع في التكفير التسابق إلى التفجير والتخريب في البلدان الإسلامية، واعتقاد أنها بلدان حرب لا بلدان إسلام، وأنت عندما تنظر في دواوين السنة المطهرة وكتب العقيدة ستعلم حقيقة هذا الأمر، حيث بين العلماء خطورة التكفير الجائر وذمه، والتحذير منه وممن قال به، كما أوردوا النصوص التي أولها أهل الضلال، وبينوا الحق فيها،

(١) المفهم لما أشكل من تلخيص مسلم (٣/١١١).
(٢) مجموع الفتاوى (١٣/٣١).
(٣) تبيين كذب المفتري فيما نسب إلى الإمام أبي الحسن الأشعري (ص/٤٠٥).

وأوضحوا معناها كما فهمه السلف الصالح، ومع هذا تتكب عن هذا الطريق المستقيم كثير من الشباب اليوم سائرين على طريق من حذرنا علماؤنا من السير على طريقهم، وتركوا الكتب النقية السالمة من الأهواء والبدع، فحدث ما حدث من دمار وفساد في الأرض، وكما قيل: "ما قام سوق التفجير إلا على بوق التكفير"، وهذه بلا شك من خطوات الشيطان.

المبحث الأول
الجهل

يعتبر الجهل من أبرز الأسباب المؤدية لظاهرة التكفير، ولا تكاد تجد من أظهر التكفير الباطل وخاض فيه؛ إلا وهو متلبّس بالجهل العظيم، وساعد على هذا: التحذير من العلماء لدى رؤوس الضلال، والطعن فيهم، والتزهيد بعلومهم، وبأنهم عملاء، وبأنهم قد باعوا دينهم، ونحو ذلك، فكان من سلبيات هذا اتخاذ رؤوس ضلال والتلقي عنهم ضلالهم وبدعهم، وقد حذر الله – تعالى – من القول عليه بلا علم فقال – جل وعلا –: ﴿ قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَاناً وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لا تَعْلَمُونَ ﴾[1]، وقال: ﴿ وَلا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولاً ﴾[2]، وقد أمر الله – تعالى – بطلب العلم، فقال – عز وجل –: ﴿ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لا تَعْلَمُونَ ﴾[3]، وقال النبي – ﷺ –: «طلب العلم فريضة على كل مسلم[4]»، وأثنى على ذلك فقال: «من يرد الله به خيراً يفقّهه في الدِّين[5]»، والمراد من العلم هو العلم الشرعي، وهو علم كتاب

(١) الأعراف: ٣٣.
(٢) الإسراء: ٣٦.
(٣) النحل: ٤٣، الأنبياء: ٧.
(٤) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير (١٠/١٩٥)، وفي الأوسط (٦/٩٦)، عن عبدالله بن مسعود، وأخرجه ابن ماجه في سننه (١/٨٢)، والطبراني في الأوسط (١/٧)، والصغير (١/٣٦)، والبيهقي في شعب الإيمان (٢/٢٥٣)، وأبو يعلى في مسنده (٥/٢٨٣)، عن أنس بن مالك، وصححه الألباني في صحيح ابن ماجه (١/٤٤).
(٥) أخرجه البخاري في صحيحه، ك: العلم، باب: من يرد الله به خيراً يفقّهه في الدين، (ص/١٧)، رقم (٧١)، ومسلم في صحيحه، ك: الزكاة، باب: النهي عن المسألة، (ص/٢٤٥)، رقم (١٧٢١) عن معاوية بن أبي سفيان.

الله – تعالى – وسنة نبيه – ﷺ –، قال الحافظ ابن حجر – رحمه الله –: "والمراد بالعلم: العلم الشرعي الذي يفيد معرفة ما يجب على المكلف من أمر دينه في عباداته ومعاملاته والعلم بالله وصفاته وما يجب له من القيام بأمره وتنزيهه عن النقائص[1]".

والعلم حارس من الوقوع في الضلالة والبدعة، ولذلك إن ابتعد العبد عن العلم ومخالطة العلماء والأخذ عنهم؛ تردّى في هوة الجهل، ورحم الله الإمام أحمد إذ يقول: "الناس أحوج إلى العلم منهم إلى الطعام والشراب؛ لأن الطعام والشراب يحتاج إليه في اليوم مرتين أو ثلاثاً، والعلم يحتاج إليه في كل وقت[2]"، ولذلك لا تجد صحابياً سلك في مسلك أهل البدع أو قال بقولهم؛ لتمسكهم بالكتاب والسنة، فهم لم يختلفوا في مسائل العقيدة، بل كانوا حرباً على البدع وأهلها وسيرتهم شاهدة بذلك، قال قتادة – رحمه الله –: "إن الخوارج خرجوا وأصحاب رسول الله – ﷺ – يومئذ كثيرٌ بالمدينة والشام والعراق، وأزواجه يومئذ أحياء، واللهِ إنْ خَرَج منهم ذكرٌ ولا أنثى حروريًّا قط، ولا رضوا الذي هم عليه، ولا مالأوهم فيه، بل كانوا يحدّثون بعيب رسول الله – ﷺ – إياهم ونعتِه الذي نعتهم به، وكانوا يبغضونهم بقلوبهم، ويعادونهم بألسنتهم، وتشتدّ والله عليهم أيديهم إذا لقوهم[3]"، وقال شيخ الإسلام رحمه الله: "أما الصحابة فلم يُعرف فيهم –ولله الحمد– من تعمّد الكذب على النبي – ﷺ –، كما لم يُعرف فيهم من كان من أهل البدع المعروفة كبدع الخوارج والرافضة والقدرية والمرجئة، فلم يُعرف فيهم أحد من هؤلاء الفرق[4]"، ولما سأل الخوارج ابنَ عباس – رضي الله عنهما – لما جاء

(١) فتح الباري (١/١٤١).
(٢) إعلام الموقعين (٢/٢٥٧).
(٣) تفسير الطبري (٦/١٨٨)، وتفسير الصنعاني (١/١١٥).
(٤) مجموع الفتاوى (١/٢٤٩).

ينصحهم: ما جاء بك؟ قال: "جئتكم من عند أصحاب رسول الله – ﷺ –، وليس فيكم منهم أحد، ومن عند ابن عم رسول الله – ﷺ –، وعليهم نزل القرآن، وهم أعلم بتأويله[1]"، فالخوارج –وهم أول من أظهر تكفير المسلمين حيث كفروا كل من خالفهم في بدعتهم[2] – قد قال النبي – ﷺ – عنهم لما اعترض ذو الخويصرة عليه قال: «إنه يخرج من ضئضئ هذا قوم يتلون كتاب الله رطباً لا يجاوز حناجرهم، يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية[3]»، ومعنى ذلك كما قال الشاطبي – رحمه الله –: "أنهم لم يتفقّهوا فيه، فهو في ألسنتهم لا في قلوبهم[4]"، وقال النووي – رحمه الله – في تفسير قول ابن مسعود رضي الله عنه: "إن أقواماً يقرأون القرآن لا يجاوز تراقيهم، ولكن إذا وقع في القلب فرسخ فيه نفع[5]"؛ قال: "معناه: إن قوماً ليس حظّهم من القرآن إلا مروره على اللسان، فلا يجاوز تراقيهم ليصل قلوبهم، وليس ذلك هو المطلوب، بل المطلوب تعقّله وتدبّره بوقوعه في القلب[6]"، وقال الزركشي: "ذَمَّهم بإحكام ألفاظه، وترك تفهّم معانيه[7]"، وقال – عليه الصلاة والسلام –: «يأتي في آخر الزمان قوم حدثاء الأسنان، سفهاء الأحلام،

(١) أخرجه النسائي في السنن الكبرى (١٦٥/٥)، رقم (٨٥٧٥)، والطبراني في الكبير (٣١٢/١٠)، والبيهقي في السنن الكبرى (١٧٩/٨)، رقم (١٦٥١٧)، والحاكم في المستدرك (١٥٠/٢)، وقال: (صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه).

(٢) انظر: مجموع الفتاوى (٢٧٩/٣).

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه، ك: المغازي، باب: بعث علي بن أبي طالب وخالد بن الوليد إلى اليمن قبل حجة الوداع (ص/٧٣٦)، رقم (٤٣٥١)، ومسلم في صحيحه، ك: الزكاة، باب ذكر الخوارج وصفاتهم، (ص/٢٥٣)، رقم (١٠٦٤)، عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

(٤) الاعتصام للشاطبي (٣٤٨/١).

(٥) أخرجه مسلم في صحيحه، ك: صلاة المسافرين، باب: ترتيل القراءة واجتناب الهذّ وهو الإفراط في السرعة وإباحة سورتين فأكثر في ركعة (ص/١٩٥)، رقم (٨٢٢).

(٦) المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج (٣٤٥/٦)، وانظر: (١٦٠/٧) منه.

(٧) البرهان في علوم القرآن (٤٥٥/١).

يقولون من خير قول البرية، يمرقون من الإسلام كما يمرق السهم من الرمية، لا يجاوز إيمانُهُم حناجرَهم، فأينما لقيتموهم فاقتلوهم، فإن قَتْلهم أجر لمن قتلهم يوم القيامة[1]»، وقال ابن حجر – رحمه الله – لما ذكر عقيدة الخوارج: "وهذا كله من آثار عبادة الجهال الذين لم تنشرح صدورهم بنور العلم، ولم يتمسكوا بحبل وثيق من العلم، وكفى أن رأسهم ردّ على رسول الله – ﷺ – أمره، ونسبه إلى الجور، نسأل الله السلامة[2]"، فهم أقدموا على الحكم بالتكفير مع الجهل العظيم بالإسلام وأحكامه، ولذلك وقعوا في بدع كبيرة متعددة، منها تكفير الصحابة – رضي الله عنهم – وغيرهم من المسلمين، وممن ذكر هذا – أيضاً – ابن حزم رحمه الله، حيث أوضح أن سبب تكفير الخوارج لغيرهم هو الجهل، حيث كانوا أعراباً لم يتفقهوا بالسنن النبوية، ولم يكن منهم أحد من الصحابة[3]، وقال شيخ الإسلام – رحمه الله –: "إذا تبين ذلك، فمن كان جاهلاً بما أمر الله به وما نهاه عنه؛ لم يكن من أولياء الله وإن كان فيه زهادة وعبادة لم يأمر الله بهما ورسوله، كالزهد والعبادة التي كانت في الخوارج والرهبان ونحوهم[4]"، ومثّل – رحمه الله – على جهلهم بمثال، وهو أن النبي – ﷺ – قد يعطي شخصاً غير محتاج وذلك لتأليف قلبه، وقد اعترض ذو الخويصرة على النبي – ﷺ – ووصفه بعدم العدل بسبب ذلك، وقال شيخ الإسلام: "فاقتضى ذلك عندهم أن العطاء لا يكون إلا لذوي الحاجات وأن عطاء السادة المطاعين الأغنياء لا يصلح لغير الله بزعمهم، وهذا

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، ك: المناقب، باب: علامات النبوة في الإسلام، (ص/٦٠٦)، رقم (٣٦١١)، ومسلم في صحيحه، ك: الزكاة، باب: التحريض على قتل الخوارج، (ص/٢٥٤)، رقم (١٠٦٦).

(٢) فتح الباري (١٢/٣٠١).

(٣) الفصل في الملل والأهواء والنحل (٤/١٢١).

(٤) المستدرك على مجموع الفتاوى (١/١٦٤)، وانظر: مجموع الفتاوى (٢٨/٥٨٠).

من جهلهم، فإن العطاء إنما هو بحسب مصلحة دين الله[1]"، ومن جميل ما قاله الحسن البصري – رحمه الله – وهو يوضح أهمية العلم وخطورة الجهل، ومثّل على ذلك بالخوارج الذين تركوا العلم فحصل منهم الخروج؛ قال: "العامل على غير علم كالسالك على غير طريق، والعامل على غير علم ما يفسد أكثر مما يصلح، فاطلبوا العلم طلباً لا تضروا بالعبادة، واطلبوا العبادة طلباً لا تضروا بالعلم، فإن قوماً طلبوا العبادة وتركوا العلم حتى خرجوا بأسيافهم على أمة محمد – ﷺ –، ولو طلبوا العلم لم يَدُلَّهُم على ما فعلوا[2]"، قال الشاطبي – رحمه الله – مبيناً معنى قول الحسن هذا: "يعني الخوارج –والله أعلم– لأنهم قرؤوا القرآن ولم يتفقهوا فيه حسبما أشار إليه الحديث: "يقرؤون القرآن لا يجاوز تراقيهم[3]"، وقال: "ألا ترى أن الخوارج كيف خرجوا من الدين كما يخرج السهم من الصيد المرمي؛ لأن رسول الله – ﷺ – وصَفَهم بأنهم يقرؤون القرآن لا يجاوز تراقيهم، يعني –والله أعلم– أنهم لا يتفقهون به حتى يصل إلى قلوبهم؛ لأن الفهم راجع إلى القلب، فإذا لم يصل إلى القلب لم يحصل به فهم على حال، وإنما يقف عند محل الأصوات والحروف المسموعة فقط، وهو الذي يشترك فيه من يفهم ومن لا يفهم[4] "، وهذا ما أكّده الإمام مالك – رحمه الله – في بيان حال من خرج على أمة محمد – ﷺ –، قال: "إن أقواماً ابتغوا العبادة وأضاعوا العلم، فخرجوا على أمة محمد – ﷺ – بأسيافهم، ولو اتبعوا العلم لحجزهم عن ذلك[5]"، ورحم الله الشيخ

(١) مجموع الفتاوى (٢٨/٥٨٠).
(٢) جامع بيان العلم وفضله لابن عبد البر (١/١٣٦)، وانظر: الاعتصام للشاطبي (١/٤١٣)، ومفتاح دار السعادة لابن القيم (١/٨٣).
(٣) الاعتصام (١/٤١٣).
(٤) الاعتصام (١/٤٢٥).
(٥) مفتاح دار السعادة (١/١١٩).

عبداللطيف بن عبدالرحمن حيث قال في رسالة وجهها لبعض من تسرع في التكفير الباطل وخاض فيه، ومحذراً من الولوج في القضايا الكبار – بعد أن برّأ شيخ الإسلام محمد بن عبدالوهاب من هذا التكفير – قال: "..وقد بلغنا عنكم نحو من هذا، وخضتم في مسائل من هذا الباب، كالكلام في الموالاة والمعاداة، والمصالحة والمكاتبات، وبذل الأموال والهدايا ونحو ذلك من مقالة أهل الشرك بالله والضلالات، والحكم بغير ما أنزل الله عند البوادي ونحوهم من الجفاة، والتي لا يتكلم فيها إلا العلماء من ذوي الألباب، ومن رزق الفهم عن الله، وأوتي الحكمة وفصل الخطاب، والكلام في هذا يتوقف على معرفة ما قدمناه، ومعرفة أصول عامة كلية، لا يجوز الكلام في هذا الباب وفي غيره لمن جهلها وأعرض عنها وعن تفاصيلها، فإن الإجمال والإطلاق وعدم العلم بمعرفة مواقع الخطاب وتفاصيله؛ يحصل به من اللبس والخطأ وعدم الفقه عن الله ما يفسد الأديان، ويشتت الأذهان، ويحول بينها وبين فهم السنة والقرآن، قال ابن القيم في كافيته – رحمه الله تعالى –:

وعليك بالتفصيل والتبيين فالـ إطلاق والإجمال دون بيان
قد أفسدا هذا الوجود وخبط الـ أذهان والآراء كل زمان[1]".

وكل من كفّر مسلماً بالباطل فإنما أدّاه لذلك الجهل، فهو الأصل فيهم، وفي ذلك يقول شيخ الإسلام – رحمه الله – في رده على البكري: "وهذه الطريقة التي سلكها هذا وأمثاله هي طريقة أهل البدع الذين يجمعون بين الجهل والظلم، فيبتدعون بدعة مخالفة للكتاب والسنة وإجماع الصحابة، ويكفّرون من خالفهم في بدعتهم[2]"، وسير هؤلاء المكفرين واضحة في تلبّسهم بهذه الصفة وهي الجهل، ففي قصة ابن عباس – رضي الله عنهما –

(١) الدرر السنية (١/٤٦٨–٤٦٩)، والبيتان في متن القصيدة النونية (ص/٥٢).
(٢) تلخيص كتاب الاستغاثة (٢/٤٨٧).

عندما ناظر الخوارج خير شاهد على ذلك، فإنه – رضي الله عنه – لما ناظرهم رجع منهم ألوف، وتركوا القول بما هم عليه[1]، وكان سبب ذلك جهلهم بالنصوص، فلما وضّح لهم السنة وحاججهم بها؛ علموا أنهم على جهل وضلال، ومن هذا – أيضاً – قصة يزيد الفقير الذي كان قد شغفه رأي الخوارج[2]، فكان مما قال لجابر رضي الله عنه: يا صاحب رسول الله، ما هذا الذي تحدّثون والله يقول:﴿ إِنَّكَ مَنْ تُدْخِلِ النَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُ ﴾[3]، و ﴿ كُلَّمَا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُوا فِيهَا ﴾[4]، فما هذا الذي تقولون؟ فقال: أتقرأ القرآن؟ قال: نعم. قال: فهل سمعت بمقام محمد عليه السلام يعني الذي يبعثه الله فيه؟ قلت: نعم. قال: فإنه مقام محمد – ﷺ – المحمود الذي يخرج الله به من يخرج..، فرجعنا قلنا: ويحكم أترون الشيخ يكذب على رسول الله – ﷺ – ؟ فرجعنا فلا والله ما خرج منا غير رجل واحد[5]"، ففي جلسة واحدة مع عالم من علماء الصحابة حصل العلم وزال الجهل الذي كان عند هؤلاء، وهذا يدل على شرف العلم والعلماء وفضيلة العلم، حيث ردّ أولئك عن الخروج وإحداث الفساد في الأرض، كما أن فيه بيان لجهالة هؤلاء بالسنة، ومن أمثلة ذلك – أيضاً – قصة ابن مسعود – رضي الله عنه – مع أولئك الذين ابتدعوا الذكر في المسجد لجهلهم، فقد قالوا: "والله يا أبا عبد الرحمن ما أردنا إلا

(١) أخرج القصة أحمد في المسند (٨٦/١)، والحاكم في مستدركه (١٥٠/٢)، وعبدالرزاق في مصنفه (١٥٧/١)، والبيهقي في السنن الكبرى (١٧٩/٨)، وقال الحاكم: (هذا حديث صحيح على شرط مسلم، ولم يخرجاه)، وقال الذهبي: (على شرط مسلم). وانظر: مجموع الفتاوى (٢٤٠/٣).

(٢) وهو أن أصحاب الكبائر يخلدون في النار، ولا يخرج منها من دخلها. انظر: المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج (٥٠/٣).

(٣) آل عمران: ١٩٢.

(٤) السجدة: ٢٠.

(٥) أخرجه مسلم في صحيحه، ك: الإيمان، باب: أدنى أهل الجنة منزلة فيها (ص/٦٠)، رقم (٣٢٠).

الخير. قال: وكم من مريد للخير لن يصيبه؟ إن رسول الله – ﷺ – حدثنا أن قوماً يقرؤون القرآن لا يجاوز تراقيهم، وأيم الله لا أدري لعل أكثرهم منكم. ثم تولى عنهم. فقال عمرو بن سلمة: رأينا عامة أولئك يطاعنونا يوم النهروان مع الخوارج[1]"، فحذّرهم مما وقعوا فيه من البدعة لجهلهم، ثم حصل أن خرجوا على الصحابة – رضي الله عنهم – مما يدل على أن الجهل أبرز صفاتهم، ومن هذا – أيضاً – قصة طلق بن حبيب قال: "كنت أشد الناس تكذيباً بالشفاعة حتى لقيت جابر بن عبد الله، فقرأت عليه كل آية أقدر عليها فيها ذكر خلود أهل النار، فقال لي: يا طلق، أتراك أقرأ لكتاب الله وأعلم بسنة نبيه مني؟ قال: قلت لا، قال: فإن الذي قرأتَ هم المشركون، ولكن هؤلاء أصابوا ذنباً فعذبوا، ثم أخرجوا من النار، وأومأ بيده إلى أذنيه فقال: صُمَّتا إن لم أكن سمعته من رسول الله – ﷺ – سلم ونحن نقرأ الذي تقرأ[2]"، وكذلك عندما جادل عمرو بن عبيد عمرو بن العلاء في مسألة الوعد والوعيد، قال له ابن العلاء: "من العُجمة أتيت يا أبا عثمان، إن الوعد غير الوعيد[3]".

وإذا كان هذا هو حال الخوارج القدامى الذين غلوا في التكفير بسبب الجهل، فإن من وقع في التكفير الباطل من الخوارج المعاصرين ومن تأثر بهم شبيه بحالهم، حيث إن الجهل سمة بارزة فيهم، ساعد على ذلك التحذير من العلماء الربانيين، والطعن فيهم، والتزهيد في علمهم، وإبعاد الشباب عنهم[4]،

(١) أخرجه الدارمي في سننه، (٨٠/١)، رقم (٢٠٤)، وابن أبي شيبة في المصنف (٣٠٥/١٥)، رقم (٣٩٠٤٥).

(٢) أخرجه أحمد في مسنده (٣٣٠/٣)، واللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة (١١٦٧/٦)، رقم (٢٠٥٣)، والبخاري في الأدب المفرد مختصراً (ص/٢٨٥)، رقم (٨١٨)، وصححه الألباني صحيح الأدب المفرد (٣٠٨).

(٣) سيأتي بتمامه.

(٤) سيأتي ذكر هذا.

حتى استغلوا من قبل كبار الخوارج، فوجهوهم لأسماء مشبوهة، وكتب منحرفة، وأوغلوا صدورهم بالحقد على المسلمين، والحكم بتكفير المجتمعات، فارتكبوا أعمالاً مخالفة للشريعة الإسلامية، فهم جمعوا بين الجهل والظلم، ونحن عندما نتمعّن في سير من سار على التكفير الباطل اليوم؛ نجد أنهم لم يتعلموا العلم الشرعي بالطرق المعلومة لدى العلماء، بل كثير منهم لم يتخرج على أيدي العلماء، وهم من أصحاب المستويات المتدنيّة دراسياً، وغالبهم لم يحصل على شهادة الثانوية العامة!، فأصبحوا يفتون في النوازل، والقضايا الكبار، ويكفّرون من خالفهم، كل ذلك بجهل.

فمن أمثلة ذلك أن الكثير ممن ينتسب للفكر التكفيري قد وقعوا في أيدي التكفيريين وفي حبائل شبهاتهم، ووافق ذلك ضعف التحصيل العلمي، بسبب عدم الجلوس عند العلماء والأخذ عنهم[1]، وعدم اهتمامهم بالمناهج الدراسية التي تدرس العقيدة على وفق عقيدة السلف الصالح، ومن درس منهم فإنهم لا يعترفون بما درسوه، بل دخل عليهم الضلال من جهات أخرى، قال الشيخ عبدالمحسن بن حمد البدر – حفظه الله –: "والذين ابتُلوا بالتكفير والتفجير في هذه البلاد لم يحصل ذلك لهم من المناهج الدراسية، بل دخل عليهم من أبواب شرٍّ لا صلة لها بالمناهج ألبتة، وقد اعترف بذلك بعض الذين قُبض عليهم منهم[2]"، والناظر – أيضاً – في حال من كفّر المسلمين يجد أن الكثرة الغالبة منهم هم من صغار السن، وقليلي العلم، وهم ممن يكثر الجهل فيهم، وأظهرت الدراسات أن أعمار الشباب المغرر بهم تتراوح بين ٢٠–

(١) انظر: مناهج التعليم الشرعية في المملكة العربية السعودية بين أصالة التربية ودعوات التشكيك للشيخ فالح بن جبر الفضلي (ص/٤٦).

(٢) بذل النصح والتذكير لبقايا المفتونين بالتكفير والتفجير (ص/٣٠).

٣٠ عاماً[١]، ويعترف بعض من تأثر بهذا الفكر الخطير فيقول: "لقد وقعنا في الاثنين معاً[٢]؛ ففي السجن الاجتهاد، والذي خرج من السجن يقرأ في الكتب، وبعضنا لم يدرس العربية إلا في المدارس الرسمية، والذين درسوا علمي، لا يذكرون من العربية وقواعدها وآدابها شيئاً"[٣]، ومن أمثلة ذلك – أيضاً – أن جماعة التكفير والهجرة قد تشبعوا بالجهل البالغ في الشرع؛ ذلك لأنهم حاربوا التعليم النظامي وحرّموه –ولو كان شرعياً–، فدعوا إلى الأمية لتأويلهم الخاطيء لحديث: «إنا أمة أمية[٤]»، فدعوا إلى ترك الكليّات الشرعية وغيرها، ومنع الانتساب للجامعات والمعاهد – إسلامية أو غير إسلامية –؛ لأنها مؤسسات الطاغوت وتدخل ضمن مساجد الضرار، وزعموا بأن الدعوة لمحو الأمية دعوة يهودية لشغل الناس بعلوم الكفر عن تعلم الإسلام، فما العلم إلا ما يتلقونه في حلقاتهم الخاصة[٥]، وإن أردنا أن نستقصي سير وحال من وقع في التكفير الباطل بسبب الجهل فسيطول بنا المقام.

وهنا أمر يتأكد التنبيه عليه، وهو ما يزعمه البعض من أن سبب ظاهرة التكفير والغلو فيه إنما سببه ابتعاد العلماء عن الشباب، وتقصيرهم في توجيههم وتحصينهم من الأفكار الضالة، وكونهم في بروج عاجيّة، وأنهم لم ينزلوا في الميادين.

والحق أن هذا من أعجب الأمور، فإن العلماء – بحمد الله – ما فتئوا

(١) صحيفة الرياض، العدد ١٣٦٨٢، تاريخ ١٤٢٦/١١/٧هـ، لقاء مع الدكتور علي شايع النفيسة.
(٢) وهما الاجتهاد من غير استعداد كاف، والعودة للكتب والأخذ عنها دون الاستعانة بأحد.
(٣) التكفير، جذوره، أسبابه، مبرراته للدكتور نعمان السامرائي (ص/١٥).
(٤) أخرجه البخاري في صحيحه، ك: الصوم، باب: قول النبي – ﷺ –: "لا نكتب ولا نحسب"، (ص/٣٠٧)، رقم (١٩١٣)، ومسلم في صحيحه، ك: الصيام، باب: وجوب صوم رمضان لرؤية الهلال والفطر لرؤية الهلال.. (ص/٢٥٩)، رقم (١٠٨٠)، عن ابن عمر رضي الله عنهما.
(٥) انظر: الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة (٣٣٩/١).

يبصرون الشباب بحقيقة المنهج السلفي، وتحذيرهم من المخالفات العقدية ولا سيما التكفير الجائر، وهذا واضح في دروسهم ومحاضراتهم وتوجيهاتهم وفتاواهم ومؤلفاتهم المتعددة، بل وفي ردّهم على المكفّرين بالباطل، وكان لعلمائنا الوقفة الحازمة تجاه هذا الفكر المدمر بحمد الله، لكن لما حصل تنفيرُ الشباب من العلماء لدى أصحاب الفكر المنحرف، ووصفُ العلماء بالبهت؛ انصرف عنهم الشباب وطعنوا فيهم، وفي شأن ذلك يقول الشيخ صالح الفوزان – حفظه الله – راداً على هذا الافتراء: "هؤلاء الشباب الذين تلقنوا تلك الأفكار الهدامة ينفرون من العلماء ومن المجتمع كله بل ومن والديهم وأقاربهم ولا يُرَوْن في المساجد ولا في ملتقى الناس وتجمعاتهم وإنما يفرون إلى أمكنة مجهولة يتلقون فيها التوجيهات من قادتهم وزملائهم فكيف يتمكن العلماء من اللقاء بهم؟ وهم يفرون ويتحاذرون منهم..، هناك من يسقط العلماء في المجتمع من خلال الفضائيات ومن خلال بعض الصحف..، وهناك من يقلل من شأن العلماء المعاصرين ويصفهم بالتشدد والسطحية في التفكير وقصور النظر، وأنهم لا يفقهون فقه الواقع، وأنهم علماء جزئيات وأصحاب مناصب، أو علماء سلاطين أو عملاء وغير ذلك من الألقاب المنفرة عنهم ويلمعون للشباب أصحاب المناهج الجديدة والمفكرين الذين ليس عندهم علم بالأحكام الشرعية وإنما عندهم ثقافة عامة لا تفرق بين صحيح وسقيم في العقيدة، فكيف يلقى باللائمة مع هذه المعوقات على العلماء؟ أو يقال إنهم في بروج عاجية لا يلتقون بالشباب ولا ينزلون في الميادين.."[1].

وفي مقابل التحذير من العلماء وعلومهم؛ نجد أن القوم اختاروا أسماء مشبوهة من أهل التكفير الجائر؛ لأخذ العلوم عنهم واتخاذهم قدوة لهم، ومن

(١) صحيفة الجزيرة، ١٤٢٤/٧/١٢هـ.

الأمور العظيمة التي نبه عليها السلف والأئمة الدلالة على علماء السنة للشباب حتى لا يقعوا في البدع المحدثة جراء الأخذ عن أهل البدع والضلال، كما سوف يأتي، ولذلك أصبح لفظ العلم والعلماء من الألفاظ المجملة في هذا الزمان يحتاج إلى بيان، فليس كل من تصدر يكون عالماً، يقول الإمام محمد بن عبدالوهاب – رحمه الله تعالى – في بيانه لأصول ستة معلومة مشهورة في كتاب الله – تعالى –: "من أعجب العجاب وأكبر الآيات الدالة على قدرة الملك الغلاب ستة أصول بينها الله – تعالى – بياناً واضحاً للعوام فوق ما يظن الظانون، ثم بعد هذا غلط فيها كثير من أذكياء العالم وعقلاء بني آدم إلا أقل القليل"، وذكر: "الأصل الرابع: بيان العلم والعلماء، وبيان الفقه والفقهاء وبيان من تشبه بهم وليس منهم... ويزيده وضوحاً ما صرحت به السنة في هذا الكلام الكثير البين الواضح للعامي البليد ثم صار هذا أغرب الأشياء.."[1].

ومن صور جهل الذين ولجوا في تكفير المسلمين بغير حق:

١- جهلهم بالأحكام الشرعية عموماً، فهم لم يشتغلوا بالعلم الشرعي، وقد يكون فيهم كثير من العوام الذين لم يتربوا على السنة ولا على علمائها، وهؤلاء هم الذين يحرص عليهم أهل الضلال من المنحرفين حيث يوجهونهم إلى التكفير الباطل، يقول الله – تعالى –: ﴿ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لا تَعْلَمُونَ ﴾[2]، فهم لضحالة علمهم وقلة تفقههم في الدين كفروا الناس، وهم أيضاً لم يتفقهوا بالقواعد الشرعية.

٢- الجهل بمعاني النصوص الشرعية وفقهها ولغتها، فإن البعض منهم وإن كان عنده بعض العلم إلا أنه لم يحصل له ممارسة العلم والاطلاع على كلام أهل العلم من السلف والأئمة، ولم يكن عنده قواعد شرعية

(١) الأصول الستة (ص/١١١، و١٣٠–ضمن كشف الشبهات بشرح الشيخ ابن عثيمين).

(٢) النحل: ٤٣، والأنبياء: ٧.

وأصول مرعية لتنزيل الحكم على الأشخاص، ولم يكن هناك ورع من إطلاق الكفر على الأفراد والمجتمعات، وقد تجد البعض من هؤلاء يستدل على معتقده من كلام الله – تعالى – ومن سنة النبي – ﷺ –، وها هو النبي – ﷺ – يقول عن الخوارج: «يقولون من كلام خير البرية»، وقال الخليفة الراشد عمر بن الخطاب – رضي الله عنه –: "ما أخاف على هذه الأمة من مؤمن ينهاه إيمانه، ولا فاسق بين فسقه، ولكني أخاف عليها رجلاً قد قرأ القرآن حتى أذلقه بلسانه، ثم تأوله على غير تأويله"[1]، وقال ابن القيم – رحمه الله – عن سبب ضلال الخوارج:

ولهم نصوص قصّروا في فهمها فأتوا من التقصير في العرفان[2]

٣- الجهل بمسائل الإيمان والتكفير ودقائقها، والضوابط الشرعية المتعلقة بها، فإن التكفير له شروط لا بد من توافرها، وموانع لا بد من رفعها حتى يحكم بالتكفير على من يستحقه، والفرق بين التكفير المطلق والتكفير المعين، وغير ذلك، الجهل بها دحض مزلة، فمن هذه المسائل:

- الجهل بالفرق بين الكفر الأكبر والأصغر، والشرك الأكبر والأصغر، والنفاق الأكبر والأصغر، وقد أدى الجهل بهذه المسائل المهمة إلى اللبس العظيم لدى من كفر بالباطل، ففي الشرع قد يطلق لفظ الشرك أو الكفر أو النفاق ويراد به الأصغر، لا الأكبر، ومن ثم توهم البعض أن هذه النصوص يراد بها الكفر الأكبر، جهلاً بالفرق بين الكفرين[3].

(١) أورده ابن عبدالبر عن الأعرابي معلقاً، انظر: جامع بيان العلم وفضله (٢/٣٧٥).
(٢) متن القصيدة النونية (ص/١٣٨).
(٣) انظر في النصوص الواردة بتوسع: التكفير في ضوء السنة النبوية للدكتور باسم بن فيصل الجوابرة، والتكفير وضوابطه للدكتور إبراهيم الرحيلي (ص/٦٣).

- الجهل بالفرق بين التكفير المطلق والتكفير المعين، والخلط بين الأمرين أدى لإطلاق التكفير على من لا يستحقه، وذكر شيخ الإسلام – رحمه الله – أن هذه أول مسألة تنازعت فيها الأمة من مسائل الأصول الكبار، وذكر أنه يجب التفريق بين الإطلاق والتعيين[1].
- الجهل بشروط التكفير وموانعه، وقد بين العلماء في مصنفاتهم هذه المسألة وأوضحوا أن هناك شروطاً للتكفير، وموانع من إيقاع الكفر على العبد، لا بد من مراعاتها قبل الحكم عليه بالكفر، وهذه المسألة مهمة للغاية، والغالب ممن وقع في التكفير الباطل لم يتقنوا هذه المسألة ولم يفقهوها، وذلك أنه "قد يرد في الكتاب والسنة ما يفهم منه أن هذا القول أو العمل أو الاعتقاد كفر، ولا يكفر من اتصف به، لوجود مانع يمنع من كفره، ومثال ذلك أن المسلم قد ينطق بكلمة الكفر لغلبة فرح أو غضب أو نحوهما فلا يكفر لعدم القصد، كما في قصة الذي قال: «اللهم أنت عبدي وأنا ربك»، أخطأ من شدة الفرح[2][3].

ومما ذكر العلماء أنه يجب قبل الحكم على المسلم بالكفر أن ينظر في أمرين: أحدهما: دلالة الكتاب أو السنة على أن هذا القول أو الفعل

(١) مجموع الفتاوى (٣/٢٣٠)، وانظر: مجموع الفتاوى (١٠/٣٧٢)، و(٦/٦١)، و(١٢/٤٩٧)، وتلخيص كتاب الاستغاثة (٢/٤٩٤)، وكتاب الإيمان ومعالمه وسننه واستكماله ودرجاته لأبي عبيد (ص/٣٨–٤٦)، وشرح العقيدة الطحاوية (٢/٤٣٥)، والدرر السنية (٨/٢٤٤).

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه، ك: ، باب: في الحض على التوبة والفرح بها (ص/٦٩٥)، رقم (٢٧٤٧)، عن أنس بن مالك رضي الله عنه.

(٣) بيان من هيئة كبار العلماء حول ظاهرة التكفير في ١٤١٩/٤/٢هـ، وانظر: مجموع الفتاوى (٣/٢٣١)، و(١٢/٤٦٥)، و(٣٥/١٦٥).

موجب للكفر. الثاني: انطباق هذا الحكم على القائل المعين أو الفاعل المعين بحيث تتم شروط التكفير في حقه، وتنتفي الموانع[1].

٤- عدم التمييز بين السنة والبدعة، فالكثير من هؤلاء لم يتبين لهم مفهوم السنة ومفهوم البدعة، وعدم التمييز بين السنة والبدعة من أعظم الأسباب التي اضطرب فيها الناس، حيث يزعم كل فريق أن طريقه هو السنة، وطريق مخالفه هو البدعة، ومن ثم يحكم على مخالفه بأنه من أهل البدعة، وكان أول من ضل في ذلك هم الخوارج المارقون، حيث حكموا لنفوسهم بأنهم المتمسكون بكتاب الله وسنته، وأن علياً ومعاوية والعسكرين هم أهل المعصية والبدعة، فاستحلوا ما استحلوه من المسلمين[2]، ونشأ عن هذا عدم تمييز أصول البدع لدى كثير من الشباب، وقلة معرفتهم بأهل الضلالة، كالخوارج ومقالتهم[3] ونظير هذا أنهم لم يميزوا بين قول أهل السنة وقول الفرق المخالفة ومنهم الخوارج، ولذلك وقعوا في أقوالهم، حيث جهلوا بمقالات أهل البدع، وكان الواجب معرفة ما عليه الخوارج وأهل البدع؛ لئلا يقع العبد في هوة التكفير كما هو الشأن لدى هؤلاء فأصبحوا يدينون بمقالات الخوارج، فمعرفة الحق ومعرفة نقيضه من الشر أمر لا بد منه للسلامة من البدع، وقد قال حذيفة – رضي الله عنه –: "كان الناس يسألون رسول الله – ﷺ – عن الخير، وكنت أسأله عن الشر مخافة أن يدركني[4]".

(١) انظر: القواعد المثلى (ص/٨٧).

(٢) انظر: الاستقامة (١/١٣)، ومنهج ابن تيمية في مسألة التكفير للدكتور عبدالمجيد المشعبي (٢/٤٨١).

(٣) انظر: الاستقامة (١/١٣-١٤).

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه، ك: الفتن، باب: علامات النبوة في الإسلام (ص/١٢٢١)، رقم (٧٠٨٤)، ومسلم في صحيحه، ك: الإمارة، باب: وجوب ملازمة جماعة المسلمين عند ظهور الفتن وفي كل حال.. (ص/٤٨٧)، رقم (١٨٤٧).

وأرى من الضروري ونحن نتكلم عن سبب الجهل أن نعرض بعض الأسباب المفضية إليه –أي إلى الجهل– لدى من كفّر بالباطل، وأهمها الأمور التالية:

١– عدم الاعتماد على الكتاب والسنة في الاستدلال، والبعد عن تعلم النصوص الشرعية، وهذا شأن الفرق المفرطة في التكفير كالخوارج والمعتزلة[١] والروافض ومن وافقهم، فهم لا يتبعون الأحاديث التي رواها الثقات عن النبي – ﷺ –[٢]، فمن أصول أكثر الخوارج مثلاً التي ذكرها العلماء عنهم عدم أخذهم بالسنة واكتفائهم بالقرآن بزعمهم[٣]، بل هم يطعنون في السنة ولذلك جاء أولهم وأنكر على النبي – ﷺ – قسمته، وقال: «يا محمد اعدل فإنك لم تعدل»، فكان مبدأ البدع هو الطعن في السنة بالظن والهوى، كما طعن إبليس في أمر ربه برأيه وهواه[٤]، وهم مع زعمهم الأخذ بالقرآن الكريم إلا أننا نجد أنهم استقلوا بفهمه عن فهم السلف الصالح كما سوف يأتي، بل إن الخوارج – أيضاً – يجوّزون على النبي – ﷺ – أن يحصل منه جور، ويضل في سنّته والعياذ بالله، لذا هم لم يوجبوا طاعته ومتابعته، وإنما صدقوه فيما بلغه من القرآن دون ما شرعه من السنة التي تخالف –بزعمهم– ظاهر القرآن.

---

(١) من أصول المعتزلة القول بالمنزلة بين المنزلتين، ويريدون بها أن مرتكب الكبيرة خرج من الإيمان ولم يدخل الكفر، بل له حكم ثالث، فليس له منزلة الكافر وليس له منزلة المؤمن، وقولهم هذا أصل من أصول التكفير، حيث أخرجوا بعض أهل القبلة من الإيمان، ورفعوا عنهم اسم الإيمان والإسلام، وهذا الحكم في الدنيا أما في الآخرة فإنه عندهم مخلد في نار جهنم. انظر: شرح الأصول الخمسة للقاضي عبدالجبار (ص/٦٩٧)، ومجموع الفتاوى (٢٥٧/٧).

(٢) منهاج السنة (٢٦٨/٣).

(٣) انظر: أصول الدين (ص/١٩)، وتفسير القرطبي (٣٨/١)، والتنبيه والرد على أهل الأهواء والبدع للملطي (ص/٤٢).

(٤) انظر: مجموع الفتاوى (٣٥٠/٣).

ومثال ذلك أيضاً الرافضة؛ فإن من أصولهم التي يدينون بها تكفير الصحابة – رضي الله عنهم – وعامة المسلمين ممن لا يدينون بدينهم، ومن ثم لم يأخذوا بالسنة؛ لأنها أتت من قبل من يكفرونهم، ومما استندوا عليه في تكفير الصحابة أحاديث مكذوبة مروية عن النبي – ﷺ – فيها الحكم بالتكفير لكل من خالف قولهم، وكذا آثار مكذوبة مروية عن علي – رضي الله عنه – وعن آل البيت، وتلك الروايات تغصّ بها كتب الرافضة، فهم لجهلهم بعلم الحديث وعدم أخذهم بأصوله، وعدم تمحيص الصحيح من الضعيف والموضوع؛ تخبطوا في هذا الباب وأصبحوا يستدلون بهذه الأحاديث والآثار المكذوبة، حتى إن شيخ الإسلام – رحمه الله – ذكر أنه "لا يوجد لهم أسانيد متصلة صحيحة قط، بل كل إسناد متصل لهم فلا بد من أن يكون فيه من هو معروف بالكذب أو كثرة الغلط، وهم في ذلك شبيه باليهود والنصارى، فإنه ليس لهم إسناد، والإسناد من خصائص هذه الأمة، وهو من خصائص الإسلام ثم هو في الإسلام من خصائص أهل السنة، والرافضة من أقل الناس عناية، إذ كانوا لا يصدقون إلا بما يوافق أهواءهم، وعلامة كذبه أنه يخالف هواهم، ولهذا قال عبدالرحمن بن مهدي: "أهل العلم يكتبون ما لهم وما عليهم، وأهل الأهواء لا يكتبون إلا ما لهم"، ثم إن أولهم كانوا كثيري الكذب فانتقلت أحاديثهم إلى قوم لا يعرفون الصحيح من السقيم فلم يمكنهم التمييز إلا بتصديق الجميع أو تكذيب الجميع والاستدلال على ذلك بدليل منفصل غير الإسناد"[1]، وبطبيعة مذهبهم أنهم لا يستندون في الاستدلال بالسنة التي يرويها الصحابة رضي الله عنهم،

(١) منهاج السنة (٢٤/٧)، وانظر: (٨/٤) منه.

ولذلك حاربوها، ولم يعتقدوا بما فيها كما تقدم التنبيه عليه.

٢- استقلال فهومهم عن فهم السلف الصالح، ونظرتهم السيئة الباطلة لسلفنا الصالح، فإن من المسائل الخطيرة التي ينبغي فهمها على وفق فهم السلف الصالح مسائل التكفير والدماء، وكان للخوارج موقف العداء تجاه السلف الصالح، فهم يكفرون جمهور السلف، حيث كفروا عثمان وعلياً وجمهور المسلمين من الصحابة والتابعين[١]، وذهبوا إلى عدم اعتبار إجماعهم[٢]، فحُرِموا من العلم المستند إلى الكتاب والسنة، وهو العلم الشرعي، وحصل الخلل العظيم في معتقدهم بسبب ذلك، ولذلك كانوا لا يعتبرون فهم السلف الصالح وهذا هو أصل فتنتهم، ثم تتابعت سائر الفرق على هذا الأصل، فكثير من أهل البدع كالخوارج والروافض كان أصل ضلالهم طعنهم في السلف الصالح، قال ابن عبدالبر: "وكانوا لتكفيرهم الناس لا يقبلون خبر أحد عن النبي – ﷺ – فلم يعرفوا بذلك شيئاً من سنته وأحكامه المبينة لمجمل القرآن، والمخبرة عن مراد الله – تعالى – في خطابه، ولا سبيل إلى المراد بها إلا ببيان رسوله، ألا ترى إلى قوله: ﴿ وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ ﴾، والصلاة والزكاة والحج والصوم، وسائر الأحكام إنما ذكرت في القرآن مجملة بينتها السنة، فمن لم يقبل أخبار العدول ضل وصار في عمياء[٣]"، وقال شيخ الإسلام – رحمه الله –: "فهؤلاء أصل ضلالهم اعتقادهم في أئمة الهدى وجماعة المسلمين أنهم خارجون عن العدل وأنهم ضالون، وهذا مأخذ الخارجين عن السنة من الرافضة

(١) انظر: مجموع الفتاوى (١٥٣/٤)، وسير أعلام النبلاء (١٤٨/٤).

(٢) انظر: الفرق بين الفرق (ص/٣٣٧).

(٣) شرح الزرقاني على موطأ الإمام مالك (٢٥/٢).

ونحوهم[1]"، وإنك لتجد أن كل من ولج في لجة التكفير الباطل لم يكن له إمام من السلف الصالح، وهذا هو العداء لهم بعينه، وهذا من الأدلة على بطلان هذا المذهب؛ حيث لم يعتقده الصحابة، بل حذروا منه وحاربوه وتبرأوا منه وقاتلوا أصحابه، ويصرح البعض اليوم ممن ينتسبون إلى جماعة التكفير والهجرة بأن قول الصحابي وفعله ليس بحجة، ولو كان من الخلفاء الراشدين، بل إجماع الصحابة عندهم غير معتبر[2]، وهذا من شأنه أنك لو احتججت بأثر عن السلف الصالح تهدم ما هم عليه؛ لردوه ولم يأخذوا به.

٣- التحذير من العلماء الربانيين، وعدم الأخذ عنهم، وسوء الظن بهم، وإسقاط منزلتهم عند الناس، واتخاذهم رؤوساً جهالاً، عنهم يصدرون، فإن هؤلاء لم يوفقوا لدراسة العلم الشرعي على العلماء الراسخين في العلم، ولم يوفقوا لدارسة العقيدة الصحيحة التي كان عليها السلف الصالح، ولذلك تخبطوا في باب التكفير وغيره، وما من شك أن من ابتعد عن العلماء الربانيين فإنه سيكون عرضة لأفكار منحرفة، ومقالات مخالفة، يقول الله – تعالى –: ﴿ وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ الأَمْنِ أَوْ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُوْلِي الأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ ﴾[3]، ومن أسباب الطعن في العلماء وعدم الأخذ عنهم الخوف من تأثير العلماء على الناس بما عندهم من علم يخالف ما عليه أهل الجهالة والضلالة، ولذلك كان من مكر هؤلاء أن طعنوا في العلماء؛ لأنهم يخالفون ما هم عليه من أفكار منحرفة، ولا يتم نشر

(١) مجموع الفتاوى (٢٨/٤٩٧).
(٢) انظر: الموسوعة الميسرة (١/٣٣٩).
(٣) النساء: ٨٣.

الضلالة إلا إذا أسقط العلماء لدى العامة والشباب، وانقطعت الصلة بينهم، وهذا ما حصل فعلاً ممن تلطخ بالتكفير، فمن ذلك أن أحد هؤلاء – والذي لم يبلغ من العمر ثماني عشرة سنة– اعترف بأن أميره يأمره بأن لا يستمع إلى إذاعة القرآن الكريم، وإذا كان ولا بد فللقرآن فقط، بشرط أن يقفله حال انتهاء القراءة، والهدف من ذلك هو الحجر الفكري عليه؛ لئلا يستمع من غيرهم خشية التأثير عليه بما يخالف منهجهم[1].

يقول الشيخ عبد اللطيف بن عبد الرحمن بن حسن – رحمهم الله –: "ومما أدخل الشيطان على بعض المتديّنين اتّهام علماء المسلمين بالمداهنة وسوء الظن بهم، وعدم الأخذ عنهم، وهذا سببٌ لحرمان العلم النافع"[2]، ويقول الشيخ صالح الفوزان – حفظه الله –: "ولهذا تجد هؤلاء الضالين المنحرفين يفرّون من المساجد حتى اعترفوا أنهم لا يصلون جمعة ولا جماعة، ينفرون من المجتمع ومن المساجد، وهذه نتيجة نفورهم من المساجد، ومن الالتقاء بالمسلمين واستماع الدروس والمحاضرات وتلقي العلم في بيوت الله – عز وجل –: ﴿ فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَنْ تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ ﴾[3]، «ما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله، يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم إلا نزلت عليهم السكينة وغشيتهم الرحمة وحفتهم الملائكة وذكرهم الله فيمن عنده»[4]، هؤلاء ينفرون من المساجد إلى السراديب المظلمة، وإلى الكهوف البعيدة، وينفرون من الاجتماع بأهل الإيمان وأهل العلم، إلى الاجتماع بأهل الزيغ وأهل الضلال

(١) صحيفة الرياض، العدد ١٣٦٨٢، تاريخ ١٤٢٦/١١/٧هـ، لقاء مع الدكتور علي شايع النفيسة.
(٢) الدرر السنية (١٣٣/٩)، وانظر: (٩١/٩–٩٤، ١٠٤) منه.
(٣) النور: ٣٦.
(٤) أخرجه مسلم في صحيحه، ك: الذكر والدعاء، باب فضل الاجتماع على تلاوة القرآن وعلى الذكر، (ص/٦٨٤)، رقم (٢٦٩٩).

وأهل الأفكـــار المنحرفة، وهذه هي النتيـــجة، وهـذا هـو الحصاد"[1]، ويقول – حفظه الله –: "إن أصحاب هذا الفكـر لم يتخرّجوا من مدارس المسلمين، ولم يأخـذوا العلـم عـن علمـاء المـسلمين؛ لأنهـم يحرّمـون الدراسـة في المـدارس والمعاهـد والكليـات[2]، ويحتقـرون علمـاء المـسلمين ويجهّلـونهم، ويـصفونهم بالعمالـة للسـلاطين، ويتعلمـون عنـد أصحاب الفكـر المنحـرف، وعنـد حـدثاء الأسـنان، سـفهاء الأحـلام مـن أمثالهم، كمـا جَهّل أسـلافُهم علمـاءَ الـصحابة وكفروهم"[3]، ويقرر هذا الشيخ عمر بن محمد بن سليم – رحمه الله – حيث اعتبر هذا الأمر من كيد الشيطان وتزيينه، فيقول في رسالة ينصح بها أهل ناحية: "ومن كيد الشيطان أيضا –الذي صدهم عن تعلم العلم وطلبه– اتهام علماء المسلمين بالمداهنة، وسوء الظن بهم، وعدم الأخذ عنهم، وهذا سبب لحرمان العلم النافع؛ فإن العلماء هم ورثة الأنبياء، ومن زهد في الأخذ عنهم، فقد زهد في ميراث سيد المرسلين، والعلماء هم الأمناء على دين الله، فواجب على كل مكلف أخذ الدين عن أهله، فإن الفرض الواجب، واللازم لعوام المسلمين سؤال العلماء وأتباعهم، قال – تعالى –: ﴿ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لا تَعْلَمُونَ ﴾[4]..فإذا لم يؤخذ العلم عن العلماء النقاد، الذين منّ الله عليهم بفهم الكتاب والسنة، ومعرفة ما عليه السلف الصالح والأئمة، وقع في الجهل والضلال..[5]"، ومن جهلهم – أيضاً – أنهم حاربوا كتب العلماء وحذروا

(١) الفئة الضالة ومنهجها (ص/٣١).

(٢) وقد كانت ولا تزال المناهج الدراسية في بلاد التوحيد المملكة العربية السعودية محاربةً لفكر التكفير والتطرف والغلو، محذرة من الأفكار الهدامة، ومن الخروج على ولاة الأمر، ومع ذلك وجدت أطروحات غالية وجاهلة تنتقد المناهج الدراسية وتسمها بالغلو والتطرف، وهذا من الباطل الذي يعلم كل من اطلع على تلك المناهج بُعدها عما سيمت به.

(٣) التكفير وضوابطه (ص/٣٩).

(٤) النحل: ٤٣، الأنبياء: ٧.

(٥) الدرر السنية (١٦٧/٩–١٦٩).

منها، وهذا الأمر هو ما عليه الخوارج من قديم الزمان، قال الشاطبي – رحمه الله –: "فإنهم أخذوا أنفسهم بقراءة القرآن وإقرائه حتى ابتدعوا فيه ثم لم يتفقهوا فيه، ولا عرفوا مقاصده، ولذلك طرحوا كتب العلماء، وسموها كتب الرأي، وخرقوها ومزقوا أدمها، مع أن الفقهاء هم الذين بينوا في كتبهم معاني الكتاب والسنة على الوجه الذي ينبغي"[1]، وبطبيعة الحال فإن من انعزل عن هذه الكتب السلفية، وقرأ في كتب أهل الأهواء والبدع فإنه – ولا شك – سيسقط في هوة الضلال والتكفير، والأمثلة على ذلك أكثر من أن تحصر[2].

ومن الأوصاف التي وصفوا بها العلماء المعاصرين لأبعاد الشباب عنهم: المداهنة، وعبيد السلطان، وعلماء السلطة، وعملاء، وأنهم لا يفقهون الواقع، ولا يعلمون أحكام الجهاد، بل وصل البعض بهم إلى حد التكفير للعلماء!.

واستعاضوا بعد ذلك بالجهال والمنحرفين عن السنة الذين يربّون الشباب على شق الصف والغلو والتكفير والتفجير، وبذا اتسع الخرق، وأصبحنا نرى البعض من أبناء جلدتنا يحاربون بلادهم التي تدعو للتوحيد وتنصره، وتطبق أحكام الشريعة، ونرى صغار السن والجهال وبعض المبتدئين بطلب العلم يتكلمون في المعضلات والنوازل ويتجرأون على الفتاوى الخطيرة كالتكفير ومسائل الجهاد وهم لا يملكون من العلم والورع شيئاً، ويطعنون في علمائنا ويصفونهم بالصفات الذميمة.

ومن الفواجع حقيقة والتي يندى لها الجبين الطعن في علم العلماء، والزعم بأن علمهم لا يساوي شيئاً، فهم يستخفّون بالعلم الشرعي المستند إلى الكتاب والسنة، بل وزعم بعضهم أن ما يشتغل فيه العلماء إنما هو قشور، وأن اللب لم يصلوا إليه، ولم يتكلموا فيه، ولذلك نجد في تاريخ الفرق الغالية في التكفير

(١) الاعتصام (١/٤٤٦).

(٢) وسيأتي بإذن الله أمثلة على ذلك.

أنهم يتهكمون على أهل العلم بأنهم علماء حيض ونفاس، فهاهو رأس الاعتزال واصل بن عطاء المعتزلي قد تكلم يوماً، فقال عمرو بن عبيد: "ألا تسمعون؟ ما كلام الحسن وابن سيرين –عندما تسمعون– إلا خرقة حيض ملقاة"، وروي أن زعيماً من زعماء أهل البدعة كان يريد تفضيل الكلام على الفقه، فكان يقول: "إن علم الشافعي وأبي حنيفة جملته لا يخرج من سراويل امرأة"[1]، فهذه استهانة بعلم العلماء، وتنقص لهم، ولا زالت تلك اللوثة الخبيثة لدى تلك الفئات التي تكفّر المسلمين، وتَسِم العلماء بأنهم علماء حيض ونفاس وعلماء قشور، وعلماء بيت الوضوء، وأنهم لا يعرفون ما يدور في العالم، مما يسمونه بفقه الواقع، وغير ذلك، وبذا استطاع من نبز العلماء بذلك أن يلتف حوله بعض الشباب، وأن يلقي عليهم ما يريده من أفكار مخالفة وشبهات!.

وبنظرة إلى معتقد جماعة التكفير والهجرة المعاصرة والتي غلت في التكفير الباطل هذا الزمان؛ نجد أن من أساس معتقدهم أن من أخذ بأقوال الأئمة أو الإجماع ولو كان إجماع الصحابة فهو مشرك وكافر عندهم، وأن العصور التي بعد القرن الرابع كلها عصور كفر وجاهلية، ولا قيمة – أيضاً – لأقوال العلماء المحققين، ولا لأمهات كتب التفسير والعقائد ؛ لأن كبار علماء الأمة في القديم والحديث –بزعمهم– مرتدون عن الإسلام[2]، وبذا استطاعوا أن يحدثوا فجوة بين الشباب الذين يربونهم وبين العلماء الربانيين، وغمسوهم في الجهالة والضلالة، هذه أبرز الأسباب المؤدية إلى الجهل لدى من كفر بالباطل، وهذا السبب –أعني الجهل– يشترك فيه غالب من كفر المسلمين.

(١) انظر: الاعتصام (١/٤٥٨).

(٢) الموسوعة الميسرة (١/٣٣٩).

المبحث الثاني
اتّباع الهوى

قال الراغب الأصفهاني – رحمه الله – في تعريف الهوى: "هو ميل النفس إلى الشهوة، ويقال ذلك للنفس المائلة إلى الشهوة، وقيل سمي بذلك؛ لأنه يهوي بصاحبه في الدنيا إلى كل داهية وفي الآخرة إلى الهاوية"(١)، وقال شيخ الإسلام – رحمه الله –: "اتباع الإنسان لما يهواه هو أخذ القول والفعل الذي يحبه، ورد القول والفعل الذي يبغضه بلا هدى من الله"(٢)، فأصل الهوى أن يحب الإنسان الشيء ويميل إليه حتى يغلب على قلبه، وقد دلت النصوص الشرعية على تحريم اتباع الهوى، وأن الضلال في اتباع الأهواء، قال – تعالى –: ﴿ وَلَئِنْ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنْ الْعِلْمِ إِنَّكَ إِذاً لَمِنْ الظَّالِمِينَ ﴾(٣)، وقال: ﴿ وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقاً لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنْ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِناً عَلَيْهِ فَاحْكُمْ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ وَلا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنْ الْحَقِّ ﴾(٤)، وقال: ﴿ وَلَوْ اتَّبَعَ الْحَقُّ أَهْوَاءَهُمْ لَفَسَدَتْ السَّمَوَاتُ وَالأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ ﴾(٥)، وقال النبي – ﷺ –: «ثلاث مهلكات: شح مطاع وهوى متبع، وإعجاب المرء بنفسه، وثلاث منجيات: خشية الله في السر والعلانية، والقصد في الفقر والغنى، وكلمة الحق في الغضب والرضا»(٦)، وقد قال النبي – ﷺ –

(١) مفردات ألفاظ القرآن (ص/٨٤٩).
(٢) مجموع الفتاوى (١٨٩/٤).
(٣) البقرة: ١٤٥.
(٤) المائدة: ٤٨.
(٥) المؤمنون: ٧١.
(٦) أخرجه الطبراني في الأوسط (٣٢٨/٥)، والبيهقي في شعب الإيمان (٤٧١/١)، والبزار في مسنده (٣٤٦/٢)، وأبو نعيم في الحلية (٣٤٣/٢)، عن أنس رضي الله عنه، وحسنه الألباني في الصحيحة (٤١٣/٤) رقم (١٨٠٢).

في وصف أهل الأهواء: «إنه سيخرج من أمتي قوم تتجارى بهم تلك الأهواء كما يتجارى الكلب بصاحبه، فلا يبقى منه عرق ولا مفصل إلا دخله»[1]، قال ابن الأثير رحمه الله: "أي يَتواقَعُون في الأهواء الفاسدة، ويَتَدَاعَوْن فيها، تَشْبِيهاً بِجَرْي الفَرس، والكَلَبُ بالتحريك: داء معروف يعرض للكَلْب، فمن عَضَّه قَتَله[2]"، وهذا يدل على أن كل خارج عما هو عليه – ﷺ – وأصحابه إنما خرج باتباع الهوى عن الشرع[3].

واتباع الهوى آفة عظيمة، إن أصابت العبد فلا يكاد ينجو منها إلا بالاتباع، والتجرد للحق، والحرص على تحصيله، والإخلاص لله تعالى، وقد اشتدّ النكير على أهل الأهواء والضّلال؛ لأن من لم يتبع العلم فقد اتبع هواه، وهو محكّم له، وقد استولى على قلبه هذا الداء، قال شيخ الإسلام – رحمه الله –: "اتباع الإنسان لما يهواه هو أخذ القول والفعل الذي يحبه وردّ القول والفعل الذي يبغضه بلا هدى من الله[4]"، وقال: "من خرج عن موجب الكتاب والسنة من المنسوبين إلى العلماء والعباد يُجعل من أهل الأهواء كما كان السلف يسمونهم أهل الأهواء، وذلك أن كل من لم يتبع العلم فقد اتبع هواه[5]"، والذين حملوا ألوية التكفير الباطل للمسلمين اليوم هم من أشد الناس هوى وضلالاً، وسبقهم إلى ذلك الخوارج، فالخوارج كانوا أول أهل الأهواء خروجاً عن السنة والجماعة[6]، حيث إن "رئيس الخوارج السَّجَّاد العَبَّاد

(١) أخرجه أحمد في مسنده (١٠٢/٤)، وأبو داود في سننه (١٩٨/٤)، والدارمي في سننه (٣١٤/٢)، والطبراني في الكبير (٣٧٦/١٩)، والحاكم في المستدرك (٢١٨/١)، عن معاوية رضي الله عنه، وحسنه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (١٢/١).

(٢) النهاية في غريب الحديث والأثر (٧٣٩/١).

(٣) الاعتصام للشاطبي (٤٨٥/١).

(٤) مجموع الفتاوى (١٨٩/٤).

(٥) مجموع الفتاوى (١٣٣/٢٨)، وانظر: (١٩٠/٤) منه.

(٦) انظر: مجموع الفتاوى (٤٨٩/٢٨).

الذي بين عينيه أثر السجود قدّم عقله ورأيه على ما جاء به النبي – ﷺ – في قسمة المال، وزعم أنه لم يعدل فيها[1]"، قال ابن الجوزي – رحمه الله – عن ذي الخويصرة: "فهذا أول خارجي خرج في الإسلام، وآفته أنه رضي برأي نفسه، ولو وقف لعلم أنه لا رأي فوق رأي رسول الله ﷺ"[2]، فاستعاضوا عن الكتاب والسنة بأهوائهم وآرائهم وأذواقهم، ومن أبرز سمات أهل البدع اتباع الهوى، ولذلك سموا بها، لغلبة الهوى على عقولهم واشتهاره فيهم[3]، ومن سمات أهل الأهواء والبدع – أيضاً – تكفير المخالف من غير مستند شرعي، وأما أهل السنة والجماعة فتجردوا للدليل، لم يكفروا أحداً بالهوى والظن، ولو كفرهم من كفرهم؛ وذلك لأن التكفير حق لله تعالى، لا مجال للعقل أو الهوى فيه، ولذا قال شيخ الإسلام – رحمه الله –: "فإن الإيجاب والتحريم والثواب والعقاب والتكفير والتفسيق هو إلى الله ورسوله، ليس لأحد في هذا حكم، وإنما على الناس إيجاب ما أوجبه الله ورسوله، وتحريم ما حرمه الله ورسوله، وتصديق ما أخبر الله به رسوله[4]"، وعقد القاضي عياض – رحمه الله – فصلاً في بيان ما هو من المقالات كفر، وما يتوقف أو يختلف فيه وما ليس بكفر؛ قال: "اعلم أن تحقيق هذا الفصل، وكشف اللبس فيه مورده الشرع، ولا مجال للعقل فيه[5]"، ومسائل التكفير ليس لأحد أن يتكلم فيها إلا بحق وعدل، لا بهوى وجهل، –كبقية مسائل الدين–، ولذا تلزم معرفة شروط التكفير وموانعه قبل الحكم بتكفير الشخص المعين، ولو كان التكفير تبعاً للهوى، بأن يكفر العبد كل من خالفه؛ لما انتظم صلاح للأمة، ولَكَفَّر كل مسلم أخاه من غير حجة ولا برهان، بل بالهوى والظن، ولعلك لا

(١) الصواعق المرسلة (١/٣٦٠).
(٢) تلبيس إبليس (ص/٨٢)، وانظر: تفسير ابن كثير (٢/١٠).
(٣) انظر: الاعتصام (١/١١٠، و٤٢٠). وجامع العلوم والحكم (ص/٣٩٠).
(٤) مجموع الفتاوى (٥/٥٥٤).
(٥) الشفا (٢/٢٨٢).

تجد من يطلق عليه اسم الإسلام، ولا تسل بعد ذلك عن المفاسد العظيمة التي تجرها أهواء النفوس –وقد رأينا بعضها!– من قتل وتدمير وتفجير، وكل ذلك باسم الدين، وسيكون لمن أراد إفساد الدين أن يردّ ما شاء إن لم يوافق ذوقه وهواه، وشواهد هذا من التاريخ كثيرة.

يقول عمرو بن عبيد –رأس الاعتزال– عن حديث ابن مسعود – رضي الله عنه – المشهور بحديث الصادق الصدوق: "لو سمعت الأعمش يقول هذا لكذّبته، ولو سمعته من زيد بن وهب لما صدّقته، ولو سمعت ابن مسعود يقوله لما قَبِلْته، ولو سمعت رسول الله – ﷺ – يقول هذا لرددتُه، ولو سمعت الله – عز وجل – يقول هذا لقلت: ليس على هذا أخذت ميثاقنا[1]"، وما هذا إلا من أجل اتباع الهوى، والبعد عن التجرد والانقياد للشرع؛ لأن هذا الحديث لا يقبل ذوقه ومزاجه، ولا يستغرب بعد هذا من هؤلاء رد الأحاديث الصحيحة بسبب مخالفتها لآرائهم، فلو قال الرسول – ﷺ – قولاً يخالف مقالتهم لما اتبعوه، وقال ابن لهيعة: سمعت شيخاً من الخوارج تاب ورجع وهو يقول: "إن هذه الأحاديث دين، فانظروا عمن تأخذون دينكم، فإنا كنا إذا هوينا أمراً؛ صيّرناه حديثا[2]"، فانظر كيف أدّى الهوى بصاحبه إلى الكذب على النبي – ﷺ – لنصرة عقيدته، وتقويله ما لم يقل؟ نسأل الله – تعالى – العصمة من ذلك، ويقول ابن ناصر الدين الدمشقي – رحمه الله – بعد إيراده لأحاديث النهي عن تكفير المسلم: "فهل بعد هذا الوعيد من مزيد في التهديد؟ ولعل الشيطان يزيّن لمن اتبع هواه، ورمى بالكفر والخروج من الإسلام أخاه، أنه تكلم فيه بحق ورماه، وأنه من باب الجرح والتعديل، لا يسعه السكوت عن القليل من ذلك فكيف بالجليل؟ هيهات هيهات، إن في مجال الكلام في الرجال عقبات؛ مرتقيها على خطر، ومرتقبها هوى لا منجى له من الإثم ولا

(١) انظر: ميزان الاعتدال (٣٣٣/٥)، تاريخ الإسلام (٢٣٨/٩).
(٢) انظر: الكفاية في علم الرواية (ص/١٦٣).

وزر، فلو حاسب نفسه الرامي أخاه ما السبب الذي هاج ذلك؛ لتحقق أنه الهوى الذي صاحبُه هالك"[1]، ومن ذلك أن مما اشتهر به الخوارج أنهم عند مناظراتهم "لا يسلمون لخصومهم بحجة ولا يقنعون بفكرة مهما تكن قريبة من الحق وواضحة الصواب، بل لا تزيدهم قوة الحجة عند خصومهم إلا إمعاناً في اعتقادهم وبحثاً عما يؤيده[2]".

ومن ألوان الهوى التي تلطخ بها أهل الأهواء والبدع تضعيفهم وردّهم للأحاديث النبوية التي تخالف مذهبهم، وإنكارهم لصحتها دون وازع من علم أو دين أو ورع، بل هو الهوى، ومنهم من يتأول الأحاديث على هواه، فمن هذه الأحاديث التي ردّها أهل البدع وهي تهدم أصولهم الفاسدة في التكفير: أحاديث الشفاعة وهي من الأحاديث المتواترة، وهي تهدم أصول التكفير الباطل التي قال بها الخوارج والمعتزلة ومن وافقهم من طوائف الشيعة[3]، وقال بها بعض المعاصرين المشهورين باسم جماعة التكفير والهجرة، وغيرهم، حيث خالفوا في حكم مرتكب الكبيرة، ولما كانت تلك الأحاديث مبطلة لذلك الاعتقاد الباطل اتجهوا لتضعيف الأحاديث، أو الزعم بأنها أحاديث آحاد[4]، دون معرفة بصناعة الحديث، وأصوله، كقواعد الجرح والتعديل، وغيرها من علوم الحديث، حيث لم يكن عندهم اهتمام بهذا العلم، شأنهم في ذلك شأن أهل البدع، ولا تستغرب بعد ذلك إن قال لك أحدهم ليس في الباب حديث!، قال ابن القيم – رحمه الله –: "وكثير منهم بل أفضلهم عند أصحابه لا يعتقد أنه روي في الباب الذي يتكلم فيه عن النبي – ﷺ – شيء، أو يظن أن المروي

(١) الرد الوافر (ص/٣٥–٣٦).

(٢) تاريخ المذاهب الإسلامية لمحمد أبو زهرة (١/٧٨).

(٣) انظر: إكمال المعلم بفوائد مسلم للقاضي عياض (١/٥٦٥)، ومجموع الفتاوى (١/٣١٨).

(٤) والمعتزلة يصرحون بأن الآيات الواردة في الشفاعة هي خاصة برفع الدرجات لأهل الجنة. انظر: الأصول الخمسة للقاضي عبدالجبار (ص/٦٨٩).

فيه حديث أو حديثان.."[1]، وقال شيخ الإسلام – رحمه الله – مقارناً بين أهل السنة وبين غيرهم من أهل البدع في شأن الأخذ بالأحاديث: "وأما أهل الحديث والسنة والجماعة فقد اختصوا باتباعهم الكتاب والسنة الثابتة عن نبيّهم – ﷺ – في الأصول والفروع وما كان عليه أصحاب رسول الله – ﷺ –، بخلاف الخوارج والمعتزلة والروافض ومن وافقهم في بعض أقوالهم؛ فإنهم لا يتبعون الأحاديث التي رواها الثقات عن النبي – ﷺ – التي يعلم أهل الحديث صحتها"[2]، وقال – رحمه الله –: "وأما أهل البدع فهم أهل أهواء وشبهات، يتبعون أهواءهم فيما يحبونه ويبغضونه، ويحكمون بالظن والشبه، فهم يتبعون الظن وما تهوى الأنفس ولقد جاءهم من ربهم الهدى، فكل فريق منهم قد أصّل لنفسه أصل دين وضعه؛ إما برأيه وقياسه الذي يسميه عقليات، وإما بذوقه وهواه الذي يسميه ذوقيات، وإما بما يتأوله من القرآن، ويحرف فيه الكلم عن مواضعه، ويقول إنه إنما يتبع القرآن كالخوارج.."[3]، ولما ذكر أن الرافضة ليس لهم إسناد متصل، قال: "إذ كانوا لا يصدقون إلا بما يوافق أهواءهم، وعلامة كذبه أنه يخالف هواهم"[4]، ومن تمعّن في قصة مناظرة ابن عباس – رضي الله عنهما – للخوارج يجد هذا الأمر جلياً، فإنه لما أراد مناظرتهم قال بعضهم: "لا تخاصموا قريشاً؛ فإنَّ الله يقول:﴿ بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ ﴾[5][6]، وقام ابن الكوّاء –وهو من الخوارج– يخطب الناس فقال: "يا

(١) مختصر الصواعق (٢/٣٥٧).
(٢) منهاج السنة (٣/٢٦٨).
(٣) النبوات (ص/٩٥).
(٤) منهاج السنة (٧/٢٤).
(٥) الزخرف: ٥٨.
(٦) ورد هذا في قصة مناظرة ابن عباس – رضي الله عنهما – للخوراج، وقد تقدم تخريجها. وانظر: الاعتصام (١/٤٢٥).

حملة القرآن إن هذا عبدالله بن عباس فمن لم يكن يعرفه فأنا أعرفه من كتاب الله ما يعرفه به، هذا ممن نزل فيه وفي قومه: ﴿ قَوْمٌ خَصِمُونَ ﴾ ، فَرُدُّوه إلى صاحبه ولا تواضعوه كتاب الله"[1]، وهذا يدل على أن هؤلاء أرادوا ردّ السنة والحق واتباع أهوائهم، حيث حذروا من ابن عباس – رضي الله عنهما – وما عنده من علم، وذلك لخطورة المناظرة على معتقدهم، يقول الآجري – رحمه الله –: "لم يختلف العلماء قديماً وحديثاً أن الخوارج قوم سوء..لأنهم قوم يتأولون القرآن على ما يهوون، ويموِّهون على المسلمين"[2]، وهكذا عامة الفرق المخالفة لأهل السنة يبتدعون قولاً ويكفرون من يخالفهم بالهوى ومحبة النصرة لقولهم، ولما ذكر شيخ الإسلام ما عليه الخوارج وغيرهم من تكفيرهم لغيرهم عند مخالفتهم لعقيدتهم وقتال الناس على ذلك قال: "وهذه حال عامة أهل الأهواء"[3]، ومن الأمثلة على تكفير أهل الأهواء للمخالف لهم بالهوى ما قاله شيخ الإسلام – رحمه الله –: "والخوارج تكفر أهل الجماعة، وكذلك أكثر المعتزلة يكفرون من خالفهم، وكذلك أكثر الرافضة، ومن لم يكفّر فسّق، وكذلك أكثر أهل الأهواء يبتدعون رأياً ويكفرون من خالفهم فيه، وأهل السنة يتبعون الحق من ربهم الذي جاء به الرسول، ولا يكفّرون من خالفهم فيه، بل هم أعلم بالحق وأرحم بالخلق"[4]، وقال في رده على البكري: "وهذه الطريقة التي سلكها هذا وأمثاله هي طريقة أهل البدع الذين يجمعون بين الجهل والظلم، فيبتدعون بدعة مخالفة للكتاب والسنة وإجماع الصحابة ويكفرون من خالفهم في بدعتهم؛

(١) تقدم تخريجه.

(٢) الشريعة (ص/١٩).

(٣) منهاج السنة (٣٢٢/٤)، وانظر: مجموع الفتاوى (٢٧٩/٣).

(٤) منهاج السنة (١٠٣/٥)، وانظر: (١٦٢/٥) منه، ودرء تعارض العقل والنقل (٢٧٦/١)، ومجموع الفتاوى (٣١١/١٧).

كالخوارج المارقين الذين ابتدعوا ترك العمل بالسنة المخالفة في زعمهم للقرآن، وابتدعوا التكفير بالذنوب، وكفّروا من خالفهم، حتى كفّروا عثمان بن عفان، وعلي بن أبي طالب، ومن والاهما من المهاجرين والأنصار وسائر المؤمنين، نقل الأشعري في كتاب المقالات أن الخوارج مجمعة على تكفير علي رضي الله عنه[1]، وكذلك الرافضة ابتدعوا تفضيل علي على الثلاثة، وتقديمه في الإمامة والنص عليه، ودعوى العصمة له، وكفروا من خالفهم، وهم جمهور الصحابة، وجمهور المؤمنين، حتى كفروا أبا بكر وعمر وعثمان ومن تولاهم[2]، هذا هو الذي عليه أئمتهم، وكذلك الجهمية ابتدعت نفي الصفات المتضمن في الحقيقة لنفي الخالق، ولنفي صفاته وأفعاله وأسمائه، وأظهرت القول بأنه لا يُرى، وأن كلامه مخلوق خلقه في غيره، لم يتكلم هو بنفسه، وغير ذلك، ثم إنهم امتحنوا الناس فدعوهم إلى هذا، وجعلوا يكفّرون من لم يوافقهم على ذلك، وكذلك القدرية ابتدعت التكذيب بالقدر، وأنكرت مشيئة الله النافذة، وقدرته التامة، وخلقه لكل شيء، وكفّروا أو منهم من كفّر من خالفه، وكذلك الحلولية والمعطلة للذات والصفات يكفر كثير منهم من خالفهم، فالذين يقولون إنه بذاته في كل مكان منهم من يكفّر من خالفه، والذين يقولون إنه لا مباين للمخلوقات، ولا عال عليها؛ فمنهم من يكفر من خالفه... ونظائر هذا متعددة"[3]، ومن الأمور الجلية الواضحة في شأن من كفر بالباطل أنهم بسبب اتباعهم لهواهم اضطربوا في الاستدلال بالنصوص، ولم يكن لهم منهج سليم فيه، فتجدهم يأخذون ما يظنون أنه يوافق هواهم وبدعتهم، ويردون أو يؤولون

(١) انظر: مقالات الإسلاميين (ص/١٩).
(٢) انظر: مقالات الإسلاميين (ص/١٦).
(٣) تلخيص كتاب الاستغاثة (٢/٤٨٧-٤٩٠).

ما يعارض ما هم عليه من الباطل[1]، ومثال ذلك موقف الوعيدية –وهم الخوارج والمعتزلة– من نصوص الوعد والوعيد، فأخذوا نصوص الوعيد ظانين أنها توافق ما هم عليه، وأما نصوص الوعد فلم يأخذوا بها ولم يعتبروها، ولذلك حكموا على أصحاب الكبائر بالخلود في النار[2]، وذكر ابن أبي العز الحنفي – رحمه الله – أن من أسباب رد الخوارج والمعتزلة لأحاديث الشفاعة العناد؛ فقال بعد أن ذكر شفاعة النبي – ﷺ – في أهل الكبائر ممن دخل النار أن يخرجوا منها؛ قال: "وقد تواترت بهذا النوع الأحاديث، وخفي علم ذلك على الخوارج والمعتزلة، فخالفوا في ذلك، جهلاً منهم بصحة الأحاديث، وعناداً ممن علم ذلك واستمر على بدعته"[3]، وهذا بلا شك هو الهوى بعينه.

ومن الأمثلة على التكفير بالهوى ما تفوه به الكوثري[4] من تكفيره لأجلة العلماء، ومنهم الإمام الدارمي، وشيخ الإسلام ابن تيمية وابن القيم والشوكاني رحمهم الله تعالى، بل ووصفه لهم بالزندقة في مواضع عديدة من كتبه، فقد شحنها بالتكفير والتجديع لعلماء السنة[5]، وما ذلك منه إلا لمخالفتهم لآرائه ومقالاته المخالفة للكتاب والسنة، ولنصرة هؤلاء العلماء لمعتقد السلف، وهذا أمر معلوم لمن اطلع على كتبه وتعليقاته المنحرفة، ولا يطعن في هؤلاء إلا من فسدت عقيدته، واتبع هواه.

وفي زماننا هذا انتشر الهوى لدى هؤلاء الضلال المكفِّرين، حتى إن

(١) انظر: الصواعق المرسلة (٢٣٢/١).

(٢) انظر: مقالات الإسلاميين (ص/١٢٤)، والبرهان في معرفة عقائد أهل الإيمان للسكسكي (ص/٢٠)، مجموع الفتاوى (٤٨٢/١٢).

(٣) شرح العقيدة الطحاوية (ص/٧٠).

(٤) قال الشيخ محمد بهجت البيطار عنه: (وجملة القول أن هذا الرجل لا يعتد بعقله ولا بنقله ولا بعلمه ولا بدينه، ومن يراجع تعليقاته يتحقق صدق ما قلناه)، الكوثري وتعليقاته (ص/٢٦).

(٥) انظر: رسالته: تبديد الظلام المخيم من نونية ابن القيم، ومقالات الكوثري، وانظر الرد في كتاب براءة أهل السنة من الوقيعة في علماء الأمة للشيخ بكر أبو زيد.

الكثير منهم أخذ يرد بعض الأحاديث النبوية، والتي تأمر بالسمع والطاعة لولي الأمر وعدم الخروج عليه، ويسمون هذه الأحاديث بـ"أحاديث تخدير الشعوب"، بل البعض منهم يتحاشى تدريس كتب السنن؛ خشية من اطلاع العامة على هذه الأحاديث[1].

قال ابن القيم – رحمه الله – في نونيته فيمن كفر أهل السنة بسبب الهوى، فمن وافقهم فهو معهم، ومن خالفهم فهو الكافر، قال:

وجعلتم التكفير عين خلافكم... ووفاقكم فحقيقة الإيمان
فوفاقكم ميزان دين الله لا... من جاء بالبرهان والفرقان
ميزانكم ميزان باغ جاهل... والعول كل العول في الميزان
أهون به ميزان جور عائل... بيد المطفف ويل ذا الوزان
لو كان ثم حيا وأدنى مسكة... من دين أو علم ومن إيمان
لم تجعلوا آراءكم ميزان كف... ـر الناس بالبهتان والعدوان
هبكم تأولتم وساغ لكم... أيكفر من يخالفكم بلا برهان
هذه الوقاحة والجراءة والجها... لة ويحكم يا فرقة الطغيان
الله أكبر ذا عقوبة تا... رك الوحيين للآراء والهذيان[2]

(١) فتاوى العلماء الأكابر فيما أهدر من دماء في الجزائر لعبدالمالك رمضاني (ص/٧٢).
(٢) متن القصيدة النونية (ص/٢٧٤).

المبحث الثالث
التأويل الفاسد

من أسباب التكفير الجائر التأويل الفاسد، ويقصد بالتأويل التفسير[١]، وهو من معانيه المعلومة عند أهل السنة والجماعة، ومن ذلك قول النبي – ﷺ – عن ابن عباس – رضي الله عنهما –: «اللهم فقهه في الدين، وعلمه التأويل[٢]»، وكان ابن عباس – رضي الله عنهما – يقول: "أنا ممن يعلم تأويله"[٣]، والتأويل ينقسم إلى تأويل صحيح وإلى تأويل فاسد، فحد التأويل الصحيح هو الذي يوافق ما دلت عليه النصوص، وجاءت به السنة، ويطابقها[٤]، وأما حد التأويل الفاسد فهو ما خالف النصوص الشرعية من الكتاب والسنة[٥]، ووصْف هذا التأويل الذي حصل ممن كفر بالباطل بالفاسد هو المناسب وذلك لمخالفته للنصوص، ولأن السلف الصالح لم يفسروا تلك النصوص بما فسره أهل الأهواء به، فكان الأحق به وصفه بالفاسد.

وهذا الأمر قد أشار إليه ابن عمر – رضي الله عنهما – فقال عن الخوارج: "إنهم انطلقوا إلى آيات نزلت في الكفار فجعلوها على المؤمنين"، وكان قتادة إذا قرأ قوله – تعالى –: ﴿ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ ﴾[٦]؛ قال: "إن لم يكونوا الحرورية

(١) انظر: لسان العرب (١/١٣٠).
(٢) أخرجه أحمد في مسنده (٤/١٢٧)، وصححه الشيخ أحمد شاكر.
(٣) أخرجه ابن جرير في تفسيره (٦/٢٠٣).
(٤) انظر: الصواعق المرسلة (١/١٨٧).
(٥) انظر: الصواعق المرسلة (١/١٨٧).
(٦) آل عمران: ٧.

والسبئية فلا أدري من هم"[1]، وعن سعيد بن جبير في قوله –تعالى –:﴿ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ ﴾[2]، قال: "أما المتشابهات: فهن آي في القرآن يتشابهن على الناس إذا قرءوهن، من أجل ذلك يضل من ضل ممن ادعى هذه الكلمة، كل فرقة يقرءون آيات من القرآن، ويزعمون أنها لهم أصابوا بها الهدى، ومما تتبع الحرورية من المتشابه قول الله – تعالى –:﴿ وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُوْلَئِكَ هُمْ الْكَافِرُونَ ﴾[3]، ويقرءون معها:﴿ ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ﴾[4]، فإذا رأوا الإمام يحكم بغير الحق قالوا: قد كفر، ومن كفر عدل بربه فقد أشرك، فهؤلاء الأئمة مشركون، فيخرجون فيفعلون ما رأيت؛ لأنهم يتأولون هذه الآية"[5]، ولا يشاء مبطل أن يتأول النصوص ويحرفها عن مواضعها إلا وجد إلى ذلك سبيلاً، وذلك عن طريق التأويل والتحريف والذي طالما اعتمده المنحرفون عن الشريعة، وهذا هو الذي أفسد الدنيا والدين، وهكذا فعلت اليهود والنصارى في نصوص التوراة والإنجيل، وحذرنا الله أن نفعل مثلهم، وأبى المبطلون إلا سلوك سبيلهم، وكم جنى التأويل الفاسد على الدين وأهله من جناية[6]، وأوردهم المهالك بتأويلهم نصوص الكتاب والسنة في أبواب الاعتقاد من الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، وغير ذلك، كل ذلك باسم التأويل، حيث تسترروا به، وقد أوضح شيخ الإسلام – رحمه الله – أن من أعظم أسباب الاختلاف في التفسير "البدع الباطلة التي دعت أهلها إلى أن حرفوا الكلم عن مواضعه وفسروا كلام الله ورسوله

(١) تفسير الطبري (١٨٧/٦).
(٢) آل عمران: ٧.
(٣) المائدة: ٤٤.
(٤) الأنعام: ١.
(٥) أخرجه الآجري في الشريعة (٥١/١).
(٦) انظر: شرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العز (ص/١١٠).

– ﷺ – بغير ما أريد به، وتأولوه على غير تأويله"، ثم بين – رحمه الله – كيفية معرفة تأويلاتهم الباطلة؛ فقال: "فمن أصول العلم بذلك أن يعلم الإنسان القول الذي خالفوه وأنه الحق وأن يعرف أن تفسير السلف يخالف تفسيرهم، وأن يعرف أن تفسيرهم محدث مبتدَع، ثم أن يعرف بالطرق المفصَّلة فساد تفسيرهم بما نصبه الله من الأدلة على بيان الحق، وكذلك وقع من الذين صنفوا في شرح الحديث وتفسيره من المتأخرين من جنس ما وقع فيما صنفوه من شرح القرآن وتفسيره"[1]، ومن سبر التاريخ واطلع عليه سيجد أن غالب ما حصل في الأمة من فساد وفتن وسفك للدماء إنما هو من التأويل الفاسد[2]، وهذا هو ديدن أهل البدع حيث يؤولون ما يخالف بدعتهم، يقول ابن القيم – رحمه الله –: "وحقيقة الأمر أن كل طائفة تتأول ما يخالف نحلتها ومذهبها، فالعيار على ما يتأول وما لا يتأول هو المذهب الذي ذهبت إليه والقواعد التي أصلتها، فما وافقها أقروه ولم يتأولوه، وما خالفها فإن أمكنهم دفعه وإلا تأولوه"[3]، ثم أورد أمثلة على هذا التأويل الفاسد.

وأهل التكفير الباطل عندهم أدلة يستدلون بها، لكنهم يفهمونها على غير فهم السلف الصالح، فكثر فيهم الضلالة، كما هو هجيرا أهل البدع، وقال شيخ الإسلام – رحمه الله – مبيناً أثر سوء الفهم للنصوص على جهال أهل البدع فتسارعوا إلى التكفير: "كما يوجد في جهال أهل البدع من الرافضة والخوارج وغيرهم من يسارع إلى تكفير من اتبع الرسول من السلف؛ لقلة علمه، وسوء فهمه لما جاء به الرسول"[4]، كما ذكر شيخ الإسلام

(١) مجموع الفتاوى (١٣/٣٦٢).
(٢) انظر: الصواعق المرسلة (١/٣٧٦–٣٧٩).
(٣) الصواعق المرسلة (١/٢٣٠).
(٤) مجموع الفتاوى (٢٧/٢٣٨).

– رحمه الله تعالى – أصلاً مهماً؛ ألا وهو أن العلم ليس هو مجرد حفظ كتاب الله – تعالى – دون فهم معانيه، ولذلك أتى هؤلاء على نصوص من الكتاب والسنة وفهموها على فهمهم هم، قال: "والناس إنما يغلطون في هذه المسائل؛ لأنهم يفهمون مسمّيات الأسماء الواردة في الكتاب والسنة، ولا يعرفون حقائق الأمور الموجودة، فرُب رجل يحفظ حروف العلم التي أعظمها حفظ حروف القرآن ولا يكون له من الفهم، بل ولا من الإيمان ما يتميز به على من أوتي القرآن ولم يؤت حفظ حروف العلم، كما قال النبي – ﷺ – في الحديث المتفق عليه: «مثل المؤمن الذي يقرأ القرآن كمثل الأترُجة طعمها طيب، وريحها طيب، ومثل المؤمن الذي لا يقرأ القرآن مثل التمرة طعمها طيب ولا ريح لها، ومثل المنافق الذي يقرأ القرآن كمثل الريحانة ريحها طيب، وطعمها مُرّ، ومثل المنافق الذي لا يقرأ القرآن مثل الحنظلة طعمها مُرّ ولا ريح لها»[1]، فقد يكون الرجل حافظاً لحروف القرآن وسوره، ولا يكون مؤمنًا، بل يكون منافقًا، فالمؤمن الذي لا يحفظ حروفه وسوره خير منه، وإن كان ذلك المنافق ينتفع به الغير كما ينتفع بالريحان، وأما الذي أُوتي العلم والإيمان، فهو مؤمن عليم، فهو أفضل من المؤمن الذي ليس مثله في العلم مثل اشتراكهما في الإيمان، فهذا أصل تجب معرفته"[2]، ولما ذكر – رحمه الله – معتقد الخوارج والمعتزلة؛ قال: "والمقصود أن مثل هؤلاء اعتقدوا رأياً ثم حملوا ألفاظ القرآن عليه، وليس لهم سلف من الصحابة والتابعين لهم بإحسان ولا من أئمة المسلمين، لا في رأيهم ولا في تفسيرهم، وما من تفسير من تفاسيرهم الباطلة

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، ك: التوحيد، باب: قراءة الفاجر والمنافق وأصواتهم وتلاوتهم لا تجاوز حناجرهم (ص/١٣٠٥)، رقم (٧٥٦٠)، ومسلم في صحيحه، ك: صلاة المسافرين وقصرها، باب: فضيلة حافظ القرآن (ص/١٩٠)، رقم (٧٩٧) عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه.

(٢) مجموع الفتاوى (١١/٣٩٧–٣٩٨).

إلا وبطلانه يظهر من وجوه كثيرة وذلك من جهتين: تارة من العلم بفساد قولهم، وتارة من العلم بفساد ما فسروا به القرآن إما دليلاً على قولهم أو جواباً على المعارض لهم، ومن هؤلاء من يكون حسن العبارة فصيحاً ويدس البدع في كلامه، وأكثر الناس لا يعلمون، كصاحب الكشاف[1] ونحوه حتى إنه يروج على خلق كثير ممن لا يعتقد الباطل من تفاسيرهم الباطلة ما شاء الله، وقد رأيت من العلماء المفسرين وغيرهم من يذكر في كتابه وكلامه من تفسيرهم ما يوافق أصولهم التي يعلم أو يعتقد فسادها ولا يهتدي لذلك"[2]، والخوارج "لا ينظرون للقرآن إلا من خلال آرائهم ومعتقداتهم، ولا يدركون شيئاً من معانيه إلا على ضوء المذهب وتحت تأثير سلطانه"[3]، والشأن والصواب إنما هو في صحة الاستدلال لا بمجرد الاستدلال، فكم من مستدل بنص لم يفهمه، أو يكون قد حرفه وأوّله على ما يريد، بل قد يدل النص على فساد ما يقوله ويعتقده، فيكون حجة عليه لا له، وهذا من حفظ الله – تعالى – لكتابه العزيز، قال طلق بن حبيب: "كنت أشد الناس تكذيباً بالشفاعة حتى لقيت جابر بن عبد الله، فقرأت عليه كل آية أقدر عليها فيها ذكر خلود أهل النار، فقال لي: يا طلق، أتراك أقرأ لكتاب الله وأعلم بسنة نبيه مني؟ قال: قلت لا، قال: فإن الذي قرأتَ هم المشركون، ولكن هؤلاء أصابوا ذنباً فعذبوا، ثم أخرجوا من النار، وأومأ بيده إلى أذنيه فقال: صُمَّتا إن لم أكن سمعته من رسول الله ﷺ ونحن نقرأ الذي تقرأ"[4]، فهذا فيه أنه ليس كل من استدل بدليل يكون على صواب، وقال الشيخ السعدي – رحمه

(١) يقصد الزمخشري.
(٢) مجموع الفتاوى (١٣/٣٥٨–٣٥٩).
(٣) الاتجاهات المنحرفة في تفسير القرآن الكريم دوافعها ودفعها للدكتور محمد الذهبي (ص/٦٤).
(٤) تقدم تخريجه

الله – لما ذكر دليلاً استدل به الخوارج ورد عليهم؛ قال: "وهكذا كل مبطل يحتج بآية، أو حديث صحيح على قوله الباطل؛ فلا بد أن يكون فيما احتج به حجة عليه"(١).

وفي ذا يقول النبي – ﷺ – في شأن الخوارج: «يقولون من خير قول البرية»، والمراد من ذلك كما قال بعض أهل العلم: القرآن(٢)، وقال بعض أهل العلم: "معناه: في ظاهر الأمر، كقولهم: لا حكم إلا لله، ونظائره، من دعائهم إلى كتاب الله تعالى"(٣)، فكانوا قد عموا عن الحق، قال علي – رضي الله عنه – لما سئل عن الخوارج: "هم قوم ضلّ سعيهم، وعموا عن الحق، بغوا علينا فقاتلناهم"(٤).

وكان من أسباب الوقوع في هذه المصيبة البعد عن اتباع السنة والأخذ بها حيث إنها مبينة للقرآن، فأكثر الخوارج يزعمون أنهم يتبعون القرآن دون السنة، قال شيخ الإسلام – رحمه الله –: "إن الخوارج الحرورية كانوا ينتحلون اتباع القرآن بآرائهم، ويَدَعون اتباع السنن التي زعموا أنها تخالف القرآن"(٥)، ولذا جاء أن علياً – رضي الله عنه – قال لابن عباس – رضي الله عنهما – حين أرسله إلى الخوارج: "احملهم على السنة، فإن القرآن ذو وجوه".

ومن الأسباب أيضاً البعد عن الفهم السليم لكتاب الله – تعالى – ولسنة نبيه – ﷺ –، وهو فهم السلف الصالح، ولذلك قال جابر رضي الله عنه لطلق في الأثر السابق لما استدل بأدلة عديدة:"يا طلق، أتراك أقرأ لكتاب الله وأعلم بسنة نبيه مني؟"، وقد تقدم قول ابن عباس – رضي الله عنهما – للخوارج:

(١) تفسير السعدي (ص/٥٧).
(٢) انظر: فتح الباري (٦١٩/٦)، وعون المعبود (٨٠/١٣).
(٣) المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج (/١٦٩).
(٤) الاستذكار لابن عبدالبر (٥٠١/٢)، وشرح صحيح البخاري لابن بطال (٥٨٥/٨).
(٥) مجموع الفتاوى (٤٩١/٢٨).

"جئتكم من عند أصحاب رسول الله – ﷺ –، وليس فيكم منهم أحد، ومن عند ابن عم رسول الله – ﷺ – وعليهم نزل القرآن وهم أعلم بتأويله"، وكان من أدلتهم التي اعترضوا بها بحضرة ابن عباس رضي الله عنهما، ثلاثة أمور، حيث قال لهم: أخبروني ماذا نقمتم على ابن عم رسول الله – ﷺ – وصهره والمهاجرين والأنصار؟ قالوا: ثلاثاً، قلت: ما هن؟ قالوا: أما إحداهن فإنه حكّم الرجال في أمر الله، وقال الله – تعالى –:﴿ إِنْ الْحُكْمُ إِلاَّ لِلَّهِ ﴾[1]، وما للرجال وما للحكم؟ فقلت: هذه واحدة، قالوا: وأما الأخرى فإنه قاتل ولم يسب ولم يغنم، فلئن كان الذي قاتل كفاراً لقد حلّ سبيهم وغنيمتهم، ولئن كانوا مؤمنين ما حل قتالهم. قلت: هذه اثنتان، فما الثالثة؟ قالوا: إنه محا نفسه من أمير المؤمنين، فهو أمير الكافرين. قلت أعندكم سوى هذا؟ قالوا: حسبنا هذا. فقلت لهم: أرأيتم إن قرأت عليكم من كتاب الله، ومن سنة نبيه – ﷺ – ما يردّ به قولكم؛ أترضون؟ قالوا: نعم. فقلت: أما قولكم: حكّم الرجال في أمر الله؛ فأنا عليكم ما قد رد حكمه إلى الرجال في ثمن ربع درهم في أرنب ونحوها من الصيد؛ فقال:﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَقْتُلُوا الصَّيْدَ وَأَنْتُمْ حُرُمٌ ﴾ إلى قوله:﴿ يَحْكُمُ بِهِ ذَوَا عَدْلٍ مِنْكُمْ ﴾[2]، فنشدتكم الله أحكم الرجال في أرنب ونحوها من الصيد أفضل أم حكمهم في دمائهم وصلاح ذات بينهم؟ وأن تعلموا أن الله لو شاء لحكم، ولم يصير ذلك إلى الرجال، وفي المرأة و زوجها قال الله – عز وجل –:﴿ وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَابْعَثُوا حَكَماً مِنْ أَهْلِهِ وَحَكَماً مِنْ أَهْلِهَا إِنْ يُرِيدَا إِصْلاحاً يُوَفِّقْ اللَّهُ بَيْنَهُمَا ﴾[3]، فجعل الله حكم الرجال سنة مأمونة، أخرجت عن هذه؟ قالوا:

(١) الأنعام: ٥٧.
(٢) المائدة: ٩٥.
(٣) النساء: ٣٥.

نعم"، إلى آخر القصة، وعن طاووس قال: ذكرتُ الخوارج عند ابن عباس – رضي الله عنهما – وقراءتهم، فقال: "يؤمنون بمحكمه، ويهلكون عند متشابهه"[1]، ويقول الضحاك: "..ولا تكونوا كأهل النهروان تأوّلوا آيات من القرآن في أهل القبلة وإنّما نزلت في أهل الكتاب، جهلوا علمها فسفكوا بها الدماء وشهدوا علينا بالضلال وانتهبوا الأموال، فعليكم بعلم القرآن فإنّه مَنْ علم فيما أنزل لم يختلف في شيء منه نفع وانتفع به"[2]، وجاء عن بعض السلف في قوله – تعالى –:﴿ يُضِلُّ بِهِ كَثِيراً ﴾، قال: هم الخوارج[3]، وهذا أمر اشتهروا به، حيث إنهم انطلقوا إلى آيات نزلت في الكفار فجعلوها على المؤمنين كما تقدم من قول ابن عمر رضي الله عنهما، وها هي نماذج مما ذهبوا إليه من تأويلاتهم الفاسدة في آيات نزلت في الكفار فجعلوها على المؤمنين:

أ- فعن ابن أبزى قال: جاءه رجل من الخوارج يقرأ عليه هذه الآية:﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ﴾[4]، قال له: أليس الذين كفروا بربِّهم يعدلون؟ قال: بلى. قال: وانصرف عنه الرجل، فقال له رجل من القوم: يا ابن أبزى، إن هذا قد أراد تفسيرَ هذه غير هذا، إنه رجلٌ من الخوارج. فقال: ردّوه عليّ. فلما جاءه قال: هل تدري فيمن نزلت هذه الآية؟ قال: لا. قال: إنها نزلت في أهل الكتاب، اذهبْ، ولا تضعها على غير حدِّها[5]"، قال الشيخ أحمد شاكر – رحمه الله – معلقاً: "وأراد السائل من الخوارج بسؤاله،

(١) أخرجه الطبري في تفسيره (١٩٨/٦).
(٢) تفسير البغوي (٣٣٤/١).
(٣) انظر: تفسير ابن أبي حاتم (٧١/١)، وتفسير ابن كثير (٢٠٩/١).
(٤) الأنعام: ١.
(٥) تفسير الطبري (٢٥٣/١١)، وتفسير ابن أبي حاتم (١٨٣/٥).

الاستدلال بالآية على تكفير أهل القبلة، في أمر تحكيم علي بن أبي طالب، وذلك هو رأي الخوارج[1]".

ب- عن عِيسَى بن عَبْدِ الرَّحْمَنِ، قَالَ: "سَأَلْتُ الشَّعْبِيَّ عَنْ هَذِهِ الآيَةِ: ﴿ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ ﴾[2]، قال: قُلْتُ: تَزْعُمُ الْخَوَارِجُ أَنَّهَا فِي الأُمَرَاءِ، قَالَ: كَذَبُوا إِنَّمَا أُنْزِلَتْ هَذِهِ الآيَةُ فِي الْمُشْرِكِينَ، كَانُوا يُخَاصِمُونَ أَصْحَابَ رَسُولِ اللَّهِ – ﷺ –، فَيَقُولُونَ: أَمَّا مَا قَتَلَ اللَّهُ فَلا تَأْكُلُونَ مِنْهُ، يَعْنِي: الْمَيْتَةَ، وَأَمَّا مَا قَتَلْتُمْ فَتَأْكُلُونَ مِنْهُ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ: ﴿ وَلا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرْ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُ لَفِسْقٌ ﴾ إِلَى قَوْلِهِ: ﴿ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ ﴾[3]، قال: "لَئِنْ أَكَلْتُمُ الْمَيْتَةَ وَأَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ"[4]".

ج- وعن مصعب بن سعد بن أبي وقاص قال: مر سعد برجل من الخوارج، فقال الخارجي: هذا من أئمة الكفر. فقال سعد: كذبتَ، بل أنا قاتلتُ أئمة الكفر[5].

فالخوارج أول من قال بالتأويل في هذه الأمة[6]، فإنهم كما قال شيخ الإسلام – رحمه الله –: "تأولوا آيات من القرآن على ما اعتقدوه وجعلوا من خالف ذلك كافراً"[7]، وقال: "فإن الخوارج خالفوا السنة التي أمر القرآن باتباعها وكفروا المؤمنين الذين أمر القرآن بموالاتهم... وصاروا يتبعون المتشابه

(١) تفسير الطبري (٢٥٣/١١).
(٢) الأنعام: ١٢١.
(٣) تفسير ابن أبي حاتم (٣٧٥/٥).
(٤) تفسير ابن كثير (١١٦/٤).
(٥) انظر: الصواعق المرسلة (٤١٧/٢).
(٦) مجموع الفتاوى (١٦٤/٢٠).
(٧) مجموع الفتاوى (٢١٠/١٣).

من القرآن فيتأولونه على غير تأويله من غير معرفة منهم بمعناه ولا رسوخ في العلم ولا اتباع للسنة ولا مراجعة لجماعة المسلمين الذين يفهمون القرآن"[1]، وفي واقعة غير بعيدة عما نحن بصدده يقول شيخ الإسلام – رحمه الله –: "وطائفة ممن يقول بأن النبي "رأى ربه بعينه" يكفرون من خالفهم لما ظنوا أنه قد جاء في ذلك أحاديث صحيحة، كما فعل أبو الحسن علي بن شكر فإنه سريع إلى تكفير من يخالفه فيما يدعيه من السنة، وقد يكون مخطئاً فيه؛ إما لاحتجاجه بأحاديث ضعيفة، أو بأحاديث صحيحة لكن لا تدل على مقصوده، وما أصاب فيه من السنة لا يجوز تكفير كل من خالف فيه[2]"، وتقدم ذكر ما كان عليه الخوارج من عدم الالتزام بالسنة النبوية، فأخذوا يفسرون كتاب الله – تعالى – على ما تمليه عليهم فهومهم المنكوسة، ولذلك قال عمر – رضي الله عنه –: "سيأتي قوم يجادلونكم بشبهات القرآن فخذوهم بالسنن، فإن أصحاب السنن أعلم بكتاب الله"، وقال – رضي الله عنه –: "إنما أخاف عليكم رجلين: رجل يتأول القرآن على غير تأويله، ورجل ينافس الملك على أخيه"، قال الحافظ ابن حجر – رحمه الله – عن الخوارج: "وكان يقال لهم القراء لشدة اجتهادهم في التلاوة والعبادة إلا أنهم كانوا يتأولون القرآن على غير المراد منه، ويستبدون برأيهم، ويتنطعون في الزهد والخشوع وغير ذلك[3]"، وقال ابن القيم – رحمه الله –:

من لي بشبه خوارج قد كفروا... بالذنب تأويلا بلا إحسان
ولهم نصوص قصروا في فهمها... فأتوا من التقصير في العرفان[4]

(١) مجموع الفتاوى (١٦/٤٣٣–٤٣٤).
(٢) فتح الباري (١٢/٢٨٣).
(٣) متن القصيدة النونية (ص/١٣٨).
(٤) الرسالة (ص/٥٠).

ومن أسباب وقوع من وقع في التأويل الفاسد عدم معرفتهم باللغة العربية التي نزل القرآن الكريم بها، ولهذا أوصى العلماء بتعلم اللغة العربية حتى لا يكون إفساده أكثر مما يصلحه، قال الشافعي – رحمه الله –: "وإنما بدأت بما وصفت من أن القرآن نزل بلسان العرب دون غيره؛ لأنه لا يعلم مِنْ إيضاح جمل علم الكتاب أحدٌ جَهِل سعة لسان العرب وكثرة وجوهه وجماع معانيه وتفرّقها، ومن علمه انتفت عنه الشبه التي دخلت على من جهل لسانها[1]"، وقال الخطابي – رحمه الله –: "إن بيان الشريعة لما كان مصدره عن لسان العرب وكان العمل بموجبه لا يصح إلا بإحكام العلم بمقدمته كان من الواجب على أهل العلم وطلاب الأثر أن يجعلوا عظم اجتهادهم وأن يصرفوا جل عنايتهم إلى علم اللغة والمعرفة موجوهها.. فإن من لم يحكم هذه الأصول لم يكمل لأن يكون واعياً لعلم أو راوياً له، وبالحري أن يكون ما يفسده أكثر مما يصلحه"، ومن الأمثلة على ذلك أنه جاء عمرو بن عبيد إلى عمرو بن العلاء فقال: يا أبا عمرو، ويخلف الله ما وعده؟ قال: لا. قال: أفرأيت من أوعده الله على عمل عقاباً، أيخلف الله وعده فيه؟ فقال: أبو عمرو بن العلاء: من العجمة أتيت يا أبا عثمان، إن الوعد غير الوعيد، إن العرب لا تعد عاراً ولا خلفاً أن تعد شراً، ثم لا تفعله، ترى ذلك كرماً وفضلاً، وإنما الخلف أن تعد خيراً ثم لا تفعله. قال: فأوجدني هذا في كلام العرب؟ قال: نعم، أما سمعت إلى قول الأول:

ولا يرهب ابن العم ما عشت صولتي .. ولا أنا أخشى صولة المتهدد

وإني وإن أوعدته أو وعدتـــه.. لمخلف ميعـــادي ومنجز موعدي[2]".

وقال ابن القيم – رحمه الله – عند عده لأنواع التأويل الباطل: "الرابع: ما

(١) غريب الحديث (٥٣/١).

(٢) الحجة في بيان المحجة (٧٢/٢–٧٣).

لم يؤلف استعماله في ذلك المعنى في لغة المخاطب، وإن ألف في الاصطلاح الحادث وهذا موضع زلت فيه أقدام كثير من الناس وضلت فيه أفهامهم حيث تأولوا كثيراً من ألفاظ النصوص بما لم يؤلف استعمال اللفظ له في لغة العرب البتة وإن كان معهوداً في اصطلاح المتأخرين وهذا مما ينبغي التنبه له فإنه حصل بسببه من الكذب على الله ورسوله ما حصل[1]".

ومن أسباب الانزلاق في التأويل الفاسد لدى من كفر بالباطل – أيضاً – عدم أخذهم لمعاني الألفاظ الشرعية من تفسير الشرع لها، فالألفاظ الموجودة في القرآن والحديث إذا عرف تفسيرها وما أريد بها من جهة النبي – ﷺ – لم يحتج في ذلك إلى الاستدلال بأقوال أهل اللغة وغيرهم، ومن ذلك اسم الإيمان والإسلام والنفاق والكفر فهي من أعظم الأمور التي تعرف بالشرع، فالنبي – ﷺ – قد بين المراد من هذه الألفاظ بياناً لا يحتاج معه إلى الاستدلال على ذلك بالاشتقاق وشواهد استعمال العرب ونحو ذلك، فلهذا يجب الرجوع في مسميات هذه الأسماء إلى بيان الله – تعالى – ورسوله – ﷺ – فإنه شاف كاف، والمخالفون إنما دخل عليهم الداخل؛ لأنهم أعرضوا عن هذا الطريق وصاروا يبنون دين الإسلام على مقدمات يظنون صحتها، إما في دلالة الألفاظ وإما في المعاني المعقولة، ولا يتأملون بيان الله ورسوله، وكل مقدمات تخالف بيان الله ورسوله فإنها تكون ضلالاً، فالخوارج والمعتزلة لما عدلوا عن بيان الله – تعالى – ورسوله – ﷺ – في مسمى الإيمان ومسمى الكفر علم بالاضطرار مخالفتهم للرسول – ﷺ –، فقد علم بالاضطرار من دين الرسول – ﷺ – أن طاعة الله ورسوله من تمام الإيمان وأنه لم يكن يجعل كل من أذنب ذنباً كافراً أو مخلداً في النار، فكل مسلم يعلم أن شارب الخمر

(١) الصواعق المرسلة (١/١٨٩).

والزاني والقاذف والسارق لم يكن النبي – ﷺ – يجعلهم مرتدين يجب قتلهم، بل القرآن والنقل المتواتر عنه يبين أن هؤلاء لهم عقوبات غير عقوبة المرتد عن الإسلام، وهذه طريقة سائر أئمة المسلمين[1].

ومن أمثلة التأويل الفاسد لدى أهل التكفير الباطل[2]:

تأويل الخوارج لقول الله – تعالى –:﴿ إِنْ الْحُكْمُ إِلاَّ لِلَّهِ ﴾، وهو قولهم لا حكم إلا لله، قال الشاطبي – رحمه الله –: "فتأملوا – رحمكم الله – كيف كان فهمهم في القرآن، ثم لم يزل هذا الإشكال يعتري أقواماً حتى اختلفت عليهم الآيات والأحاديث، وتدافعت على أفهامهم فجعجعوا به قبل إمعان النظر[3]"، وقال الحافظ ابن حجر – رحمه الله –: "وكان أول كلمة خرجوا بها قولهم: لا حكم إلا لله، انتزعوها من القرآن، وحملوها على غير محملها[4]"، ونظير هذا تأويلهم لقول الله – تعالى –:﴿ وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُوْلَئِكَ هُمْ الْكَافِرُونَ ﴾، وقد كفر الخوارج علياً – رضي الله عنه – استدلالاً بهذه الآية[5]، وكذا تأويلهم لأحاديث الشفاعة، هم والمعتزلة، قال الآجري – رحمه الله –: "إن المكذب بالشفاعة أخطأ في تأويله خطأ فاحشاً، خرج به عن الكتاب والسنة، وذلك أنه عمد إلى آيات من القرآن نزلت في أهل الكفر، أخبر الله – عز وجل – أنهم إذا دخلوا النار فهم غير خارجين منها، فجعلها المكذب بالشفاعة في الموحدين، ولم يلتفت إلى أخبار رسول الله – ﷺ – في إثبات الشفاعة أنها إنما هي لأهل الكبائر، والقرآن يدل على

(١) انظر: مجموع الفتاوى (٧/٢٨٨–٢٨٩) بتصرف، ومنهج ابن تيمية في مسألة التكفير (٢/٤٨٣).

(٢) ليس المراد هنا ذكر التأويلات مع الرد عليها؛ لأن المقام لا يحتمل الرد، وإنما أذكر نماذج من هذه التأويلات.

(٣) الاعتصام (١/٥١١).

(٤) فتح الباري (٦/٦١٩).

(٥) انظر: مقالات الإسلاميين (ص/٤٥٢).

هـذا[1]"، وكـذا تأويلهم لقوله – تعالى –:﴿ فَقَاتِلُوا أَئِمَّةَ الْكُفْرِ ﴾، قال قتادة في قوله – تعالى –:﴿ فَقَاتِلُوا أَئِمَّةَ الْكُفْرِ ﴾: "أبو سفيان بن حرب، وأمية بن خلف، وعتبة بن ربيعة، وأبو جهل بن هشام، وسهيل بن عمرو، وهم الذين نكثوا عهد الله، وهمُّوا بإخراج الرسول، وليس والله كما تأوَّله أهل الشبهات والبدع والفِرَى على الله وعلى كتابه[2]"، قال الشيخ أحمد شاكر – رحمه الله – مبيناً: "ويعني بذلك الخوارج، فهم يستدلون بهذه الآية على قتال من خالفهم من أهل القبلة، ويستحلون بها دماءهم وأموالهم[3]"، وكذا تأويلهم لقول النبي – ﷺ –: "لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن، ولا يشرب الخمر حين يشرب وهو مؤمن، ولا يسرق حين يسرق وهو مؤمن، ولا ينتهب نهبة يرفع الناس إليه فيها أبصارهم حين ينتهبها وهو مؤمن[4]"، فقالوا المراد منه يخرج من الإيمان بالكلية ويستحق الخلود في النار، وهذا تأويل منكر[5]، كما استدلوا بجملة نصوص فيها إطلاق لفظ الكفر على من أتى معصية، وذلك أنهم لا يفرقون بين الكفر الأكبر والأصغر كما هو قول السلف، وهو الذي دلت النصوص عليه، وهذا يشترك في الاستدلال به أكثر الطوائف المكفّرة، قال المروزي: "وقد غلت في تأويل هذه الأخبار التي جاءت في نفي الإيمان عمن ارتكب الكبائر طوائف من أهل الأهواء والبدع منهم الخوارج والمعتزلة والرافضة، فأما الخوارج فتأولتها على إكفار المسلمين بالمعاصي وسفك

(١) الشريعة (ص/٣١٩).
(٢) تفسير الطبري (١٤/١٥٥).
(٣) المرجع السابق.
(٤) أخرجه البخاري في صحيحه، ك: المظالم، باب: النهبى بغير إذن صاحبه (ص/٤٠٠)، رقم (٢٤٧٥)، ومسلم في صحيحه، ك: الإيمان، باب: بيان نقصان الإيمان بالمعاصي ونفيه عن المتلبس بالمعصية على إرادة نفي كماله (ص/٢٧)، رقم (١٠٠)، عن أبي هريرة رضي الله عنه.
(٥) انظر: الإيمان الأوسط (ص/٧٣).

دمائهم، قالوا: تأويل قوله: "لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن"؛ أنه كافر بالله؛ لأن الإيمان ضد الكفر، فإذا لم يكن مؤمناً فهو كافر؛ لأنهما فعلان متضادان، أحدهما ينفي الآخر، فإذا فعل الإيمان قيل مؤمن لفعله الإيمان، وإذا فعل الكفر قيل هو كافر لفعله الكفر، قالوا: فسواء قول النبي ﷺ: "لا يزني الزاني وهو مؤمن"، أو قال: "لا يزني إلا وهو كافر"، لا يصح في القول غير ذلك[1]".

وكذلك المعتزلة لما أصلوا القول بنفوذ الوعيد وأن من دخل النار لم يخرج منها أبداً؛ أولوا كل ما خالف أصولهم، فأولوا كافة النصوص المتواترة القاضية بأن الله يغفر الذنوب جميعاً ما عدا الشرك، وأنه يخرج من النار كل من أقر بالتوحيد مؤمناً بالله ورسوله ومات على ذلك، وأن شفاعة النبي ﷺ لأهل الكبائر من أمته[2]، وكذلك لما كان من أصولهم القول بالمنزلة بين المنزلتين وعدم تسمية أهل الكبائر من أهل القبلة مؤمنين؛ ترتب عليه تأويل كل نص قاطع ورد فيه تسمية العاصي مؤمناً[3].

وكذلك الرافضة كفروا بالباطل بتأويل فاسد، قال الدكتور محمد حسين الذهبي وهو يذكر عقائد الشيعة: "وهذه كلها عقائد رسخت في أذهانهم وتمكنت من عقولهم، فأخذوا بعد هذا ينظرون إلى القرآن الكريم من هذه العقائد ففسروا القرآن وفقاً لهواهم، وفهموا نصوصه وتأولوه حسبما تمليه عليهم العقيدة، ويزينه لهم الهوى وهذا تفسير بالرأي المذموم، تفسير من اعتقد أولاً ثم استدل ثانياً بعد أن اعتقد[4]"، وهم يزعمون أن تأويلاتهم إنما

(١) تعظيم قدر الصلاة (٢/٢٦٤).
(٢) انظر: الصواعق المرسلة (١/٢٣١)، جناية التأويل الفاسد (ص/٢١٨).
(٣) انظر: جناية التأويل الفاسد (ص/٢١٨).
(٤) التفسير والمفسرون (٢/٢٣).

يأخذونها من أئمتهم المعصومين، فلهم الحق في التخصيص والتقييد والبيان وغير ذلك، ونلاحظ أن تفاسير الرافضة للقرآن عبارة عن تأويلات باطنية لا صلة لها بمدلولات الألفاظ من حيث اللغة ولا تتفق مع قواعد الشرع الكلية في الغالب، حيث يزعم الرافضة أنهم تلقوها عن الأئمة الذين قولهم حجة كقول النبي – ﷺ – بزعمهم[1]، ومثال ذلك أنهم لما كانوا يبغضون الصحابة ويكفرونهم تأولوا نصوصاً عديدة في ذلك، وجعلوها دالة على ما يريدون، فمن ذلك أنهم تأولوا النصوص الواردة في فضل الصحابة والثناء عليهم أو ردوها[2]، وكان من تأويلاتهم: تأويلهم لقول الله – تعالى –:﴿ تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ﴾[3] قالوا: هم أبو بكر وعمر، ولقوله – تعالى –:﴿ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ ﴾، قالوا: أي بين أبي بكر وعلي في الخلافة، ولقوله تعالى:﴿ فَقَاتِلُوا أَئِمَّةَ الْكُفْرِ ﴾، قالوا: هم طلحة والزبير[4]، وعندما أتوا ببدعة النص وزعموا أن النبي – ﷺ – نص على إمامة علي بن أبي طالب – رضي الله عنه – نصاً قاطعاً للعذر، وأنه معصوم ومن خالفه كفر، ورتبوا على ذلك تكفير كل الصحابة إلا نفراً قليلاً منهم لزعمهم أنهم كتموا النص وبدلوا الدين، وأصبحوا يتقربون إلى الله في زعمهم بسب الصحابة –رضي الله عنهم– ولعنهم[5]، فهذه التأويلات الفاسدة لدى الرافضة مع نسبتها إلى الأئمة المعصومين بزعمهم؛ أورثت الحقد العظيم لدى عامتهم فضلاً عن خاصتهم فأخذوا يكفرون الصحابة – رضي الله عنهم –، ومن المعلوم أن شأن

(١) انظر: الصواعق المرسلة (٢/٤٤١)، وجناية التأويل الفاسد على العقيدة الإسلامية للدكتور محمد لوح (ص/٣٠١).

(٢) انظر: الصواعق المرسلة (١/٢٣٠).

(٣) المسد: ١.

(٤) انظر: مجموع الفتاوى (١٣/٣٥٩)، وانظر أمثلة كثيرة في جناية التأويل الفاسد (ص/٣٢٦).

(٥) انظر: مجموع الفتاوى (٣/٣٥٦).

الصحابة عظيم عند الله – تعالى – وقد امتدحهم الله – تعالى – في آيات عديدة، وبين منزلتهم في الدين، وامتدحهم النبي – ﷺ – في أحاديث كثيرة، ونهى عن سبهم وذمهم، قال ابن القيم – رحمه الله – في نونيته عن جناية التأويل الفاسد في عقائد بعض الفرق:

وهو الذي أنشأ الخوارج مثل إنشـ ـاء الروافض أخبث الحيوان
ولأجله شتموا خيار الخلق بعـ ـد الرسل بالعدوان والبهتان
ولأجله سل البغاة سيوفهم ظناً بأنهم ذوو إحسان
ولأجله قد قال أهل الاعتزا ل مقالة هدت قوى الإيمان
ولأجله قد خلدوا أهل الكبا ئر في الجحيم كعابدي الأوثان
ولأجله قد أنكروا لشفاعة الـ ـمختار فيهم غاية النكران[1]

(١) متن القصيدة النونية (ص/١١٢).

المبحث الرابع
مخالطة الجماعات المنحرفة والتلقي عن أصحابها

مخالطة الجماعات المنحرفة والفرق المخالفة والركون إليهم، والأخذ عن أصحابها والإصغاء لهم من السموم التي فتكت بكثير من أبناء المسلمين، ومن العوائق الصادة عن الحق والاتباع، ولذلك لم يتحرج الأئمة من قديم الزمان من التحذير من هؤلاء المنحرفين، لئلا يقع في حبالهم من لم يعرف حالهم ومقالهم، أو من يحسن الظن بكل أحد، لا سيما من الأغمار الأحداث، وقد حذر النبي – ﷺ – من الأخذ عن أهل البدع، وسمّاهم الأصاغر، فقال – ﷺ –: «إن من أشراط الساعة ثلاثة، إحداهن أن يلتمس العلم عند الأصاغر[1]»، وجاء هذا عن بعض السلف فعن عبد الله بن مسعود – رضي الله عنه – قال: "لا يزال الناس بخير ما أخذوا العلم عن أكابرهم، فإذا أخذوه من أصاغرهم وشرارهم هلكوا[2]"، وفسر بعض الأئمة الأصاغر بأهل البدع، قال ابن المبارك وقد سئل: من الأصاغر؟ "أهل البدع[3]"، وذلك لما في الأخذ عنهم من الفساد والشر، وجاء في الحث على أهل العلم والأخذ عنهم قول النبي – ﷺ –: «البركة مع أكابركم[4]»، والمراد من ذلك كما قال

(١) أخرجه ابن المبارك في الزهد (ص/٢٠)، والطبراني في المعجم الكبير (٣٦١/٢٢)، وأبو عمرو الداني في السنن الواردة في الفتن (٨٤٨/٤)، وابن عبدالبر في جامع بيان العلم وفضله (٣١١/١)، واللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة (١١٣/١)، عن أبي أمية الجمحي رضي الله عنه، وصححه الألباني في الصحيحة (٣١٦/٢).

(٢) أخرجه الخطيب في الفقيه والمتفقه (٣٧٢/٢)، والبيهقي في المدخل إلى السنن الكبرى (٢٠٩/١)، واللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة (٨٤/١).

(٣) انظر: شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة (٨٥/١).

(٤) أخرجه الحاكم في المستدرك (١٣١/١)، والطبراني في المعجم الأوسط (١٦/٩)، والبيهقي في شعب الإيمان (٤٦٣/٧)، وابن حبان في صحيحه (٣١٩/٢)، وابن عبدالبر في جامع بيان العلم وفضله (٣١٢/١)، وقال الحاكم: (هذا الحديث صحيح على شرط البخاري ولم يخرجاه)، وقال الذهبي: (على شرط البخاري)، وصححه الألباني في الصحيحة (٣٨٠/٤).

المناوي – رحمه الله –: "المجربين للأمور المحافظين على تكثير الأجور، فجالسوهم لتقتدوا برأيهم، وتهتدوا بهديهم، أو المراد من له منصب العلم وإن صغر سنه، فيجب إجلالهم حفظاً لحرمة ما منحهم الحق سبحانه وتعالى[1]"، فمن الواجب على السالكين في العلم أن يأخذوا عمن هو أهل للأخذ عنه من الأمناء على الدين، وهم العلماء الربانيون، قال بهز بن حكيم: "دين الله أحق ما طلب له العدول[2]".

وغالب من صنف في الاعتقاد من العلماء قديماً وحديثاً عقد باباً أو فصلاً أو نحوه في شأن التحذير البليغ من أهل البدع ومخالطتهم –كما سوف أسوق طرفاً منها–، وركزوا على أهمية دحض البدع والتحذير ممن تلبّس بها ودعى إليها، وسير السلف والأئمة دالة على هذا، حتى إنهم "بالغوا في ذلك ما لم يبالغوا مثله في إنكار الفواحش والظلم والعدوان، إذ مضرة البدع وهدمها للدين ومنافاتها له أشد[3]"، وما ذاك التحذير الشديد إلا من أجل ما يوجد من آثار سيئة على عقيدة الفرد والمجتمع إن هم أخذوا علمهم عن أهل البدع والأهواء، حيث يترتب الفساد العظيم والضلال المبين بسبب تلك الآراء الفاسدة، والتنكب عن طريق الحق، بالإضافة إلى ضياع السنة، قد تقدم ذكر ما عليه المنحرفون من المبالغة في التحذير من العلماء الربانيين، والطعن فيهم، ومن ثم رمي الشباب في شباك أهل الضلال ممن تلبسوا بالبدع ومن أخطرها التكفير الجائر الذي استشرى ضرره في هذا الزمان.

وقد تواترت النصوص عن السلف والأئمة في التحذير من أهل البدع، والنهي عن مجالستهم والأخذ عنهم وقراءة كتبهم، وصرحوا بأن من أسباب

(١) فيض القدير شرح الجامع الصغير من أحاديث البشير النذير (٢٨٧/٣).
(٢) ذم الكلام للهروي (٦٣/٥).
(٣) مدارج السالكين (٣٧٢/١).

الضلال مخالطة أهل الأهواء والبدع، والإدمان على قراءة كتبهم، وصرحوا بأن فيها العقارب وأنه ربما تعذر العلاج، وأنها بمنزلة أكل السموم، وما ذلك إلا لما ينتج عنه مخالطتهم وقراءة كتبهم من فساد الاعتقاد.

قال ابن عباس – رضي الله عنهما –: "لا تجالس أهل الأهواء فإن مجالستهم ممرضة للقلوب[1]".

وقال أبو قلابة – رحمه الله –: "لا تجالسوا أهل الأهواء ولا تجادلوهم فإني لا آمن أن يغمسوكم في ضلالتهم، أو يلبسوا عليكم ما كنتم تعرفون[2]".

وقال الإمام أحمد – رحمه الله –: "أهل البدع ما ينبغي لأحد أن يجالسهم ولا يخالطهم ولا يأنس بهم[3]".

وقال البغوي – رحمه الله – معلقاً على حديث الافتراق: "قد أخبر النبي – ﷺ – عن افتراق هذه الأمة وظهور الأهواء والبدع فيهم وحكم بالنجاة لمن اتبع سنته، وسنة أصحابه – رضي الله عنهم –، فعلى المرء المسلم إذا رأى رجلاً يتعاطى شيئاً من الأهواء والبدع معتقداً، أو يتهاون بشيء من السنن أن يهجره، ويتبرأ منه، ويتركه حياً وميتاً، فلا يسلّم عليه إذا لقيه ولا يجيبه إذا ابتدأ إلى أن يترك بدعته، ويراجع الحق، والنهي عن الهجران فوق الثلاث فيما يقع بين الرجلين من التقصير في حقوق الصحبة والعشرة دون ما كان ذلك في حق الدين، فإن هجرة أهل الأهواء والبدع دائمة إلى أن يتوبوا[4]".

وقال الإمام ابن بطة – رحمه الله – عند عده لمقالات أهل البدع وطوائفهم: "هم شعوب وقبائل وصنوف وطوائف أنا أذكر طرفاً من أسمائهم وشيئاً من

(١) أخرجه ابن بطة في الإبانة (٢/٤٣٨).
(٢) البدع والنهي عنها لابن وضاح (ص/٢٧)، والشريعة للآجري (١/٢٥١)، وسنن الدارمي (١/١٢٠).
(٣) الإبانة لابن بطة (٢/٤٧٥).
(٤) شرح السنة (١/٢٢٤)، وانظر: معالم السنن للخطابي (٤/٢٩٦).

صفاتهم؛ لأن لهم كتباً قد انتشرت ومقالات قد ظهرت لا يعرفها الغر من الناس ولا النشؤ من الأحداث، تخفى معانيها على أكثر من يقرأها، فلعل الحدث يقع إليه الكتاب لرجل من أهل هذه المقالات قد ابتدأ الكتاب بحمد الله والثناء عليه والإطناب في الصلاة على النبي ﷺ، ثم أتبع ذلك بدقيق كفره وخفي اختراعه وشره فيظن الحدث الذي لا علم له، والأعجمي، والغمر من الناس أن الواضع لذلك الكتاب عالم من العلماء أو فقيه من الفقهاء ولعله يعتقد في هذه الأمة ما يراه فيها عبدة الأوثان، ومن بارز الله ووالى الشيطان"، ثم لما ذكر طائفة من هؤلاء قال: "ذكرت طرفاً من أئمتهم ليتجنب الحدث ومن لا علم له ذكرهم ومجالسة من يستشهد بقولهم ويناظر بكتبهم[1]".

وقال ابن الجوزي – رحمه الله – لما ذكر المعتزلة والفلاسفة وغيرهم: "الله الله من مصاحبة هؤلاء –يعني أهل البدع– ويجب منع الصبيان من مخالطتهم لئلا يثبت في قلوبهم من ذلك شيء، واشغلوهم بأحاديث – رسول الله ﷺ – لتُعْجَن بها طبائعهم[2]".

وقال الإمام أبو نصر السجزي – رحمه الله –: "الفصل الحادي عشر في الحذر من الركون إلى كل أحد والأخذ من كل كتاب؛ لأن التلبيس قد كثر والكذب قد انتشر: اعلموا رحمنا وإياكم الله سبحانه أن هذا الفصل من أولى هذه الفصول بالضبط لعموم البلاء وما يدخل على الناس بإهماله ذلك أن أحوال أهل الزمان قد اضطربت والمعتمد فيهم قد عزّ، ومن يبيع دينه بعرض يسير أو تحبباً إلى من يراه قد كثر، والكذب على المذاهب قد انتشر فالواجب على كل مسلم يحب الخلاص أن لا يركن إلى كل أحد ولا يعتمد على كل كتاب ولا يسلّم عنانه إلى من أظهر له الموافقة..

(١) الشرح والإبانة (ص/٣٤٨–٣٥٢).

(٢) في كتابه السر المكتوم نقلاً من الآداب الشرعية (٢/٢٩١).

فمن رام النجاة من هؤلاء، والسلامة من الأهواء فليكن ميزانه الكتاب والأثر في كل ما يسمع ويرى فإن كان عالما بهما عرضه عليهما واتباعه للسلف، ولا يقبل من أحد قولاً إلا طالبه على صحته بآية محكمة أو سنة ثابتة أو قول صحابي من طريق صحيح..

وليحذر تصانيف من تغير حالهم فإن فيها العقارب وربما تعذر الترياق[1]".

وقال الآجري – رحمه الله –: "ينبغي لكل من تمسك بما رسمناه في كتابنا هذا وهو كتاب الشريعة أن يهجر جميع أهل الأهواء" وذكر منهم الخوارج[2].

وقال شيخ الإسلام – رحمه الله –: "ومن هذا الباب سماع كلام أهل البدع، والنظر في كتبهم لمن يضره ذلك ويدعوه إلى سبيلهم وإلى معصية الله[3]".

قال ابن القيم – رحمه الله –: "ومن هاهنا وصى أطباء القلوب بالإعراض عن أهل البدع وأن لا يسلم عليهم، ولا يريهم طلاقة وجهه، ولا يلقاهم إلا بالعبوس والإعراض[4]".

ومن بديع ما نصح به شفقة لنا من كتب أهل الضلال:

يا من يظن بأننا حفنا عليـ... هم كتبهم تنبيك عن ذا الشان
فانظر ترى لكن نرى لك تركها... حذراً عليك مصايد الشيطان
فشباكها والله لم يعلق بها... من ذي جناح قاصر الطيران
إلا رأيت الطير في قفص الردى... يبكي له نوح على الأغصان

(١) رسالة السجزي إلى أهل زبيد (ص/٢٣١–٢٣٤).
(٢) الشريعة (٣/٥٧٤).
(٣) مجموع الفتاوى (١٥/٣٣٦).
(٤) إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان لابن القيم (١/١٤٠).

ويظل يخبـــط طالبـــاً لخلاصـــه... فيضيق عنه فرجـــة العيدان
والذنب ذنب الطير أخلى طيب الثمـ... ـرات في عـــال من الأفنـــان
وأتى إلى تلك المزابـــل يبتغي الفضـ... ـلات كالحشرات والديدان
يا قـــوم والله العظيـــم نصيحـــة... من مشفق وأخ لكم معوان[1]

وذكر الشوكاني – رحمه الله – أن من السنة: "ترك النظر في كتب المبتدعة والإصغاء إلى كلامهم في أصول الدين وفروعه" وذكر منهم الخوارج[2].

وإذا ذهبنا ننقل نصوص الأئمة في هذا الأصل فسيطول بنا المقام، وإنما أفضت في النقل عن بعضهم لما ابتلي به كثير من الشباب اليوم من مخالطة المنحرفين وأصحاب المناهج البدعية، والأخذ عنهم أفكارهم لا سيما مسائل التكفير، حيث لم يوفق هؤلاء للصحبة الصالحة التي تدلهم على الطريق السوي، ومن نعم الله – تعالى – على العبد أن يدله على صاحب سنة يأخذ بيده إلى طريق الحق، وينأى به عن طرق الضلال التي حذر منها النبي ﷺ، لأن من شب على شيء شاب عليه، قال الإمام أحمد – رحمه الله –: "إذا رأيت الشاب أول ما ينشأ مع أهل السنة والجماعة فارجه، وإذا رأيته مع أصحاب البدع فايئس منه؛ فإن الشاب على أول نشوئه[3]"، وقال عمرو بن قيس الملائي: "إن الشاب لينشأ فإن آثر أن يجالس أهل العلم كاد أن يسلم، وإن مال إلى غيرهم كاد أن يعطب[4]"، وقال أيوب السختياني: "إن من سعادة الحدث والأعجمي أن يوفقهما الله لعالم من أهل السنة[5]"، وصدقوا والله، فكم من شاب سلك في هذه المسالك الردية، وكفر المجتمعات والحكام، وتربى على

(١) متن القصيدة النونية (ص/١٤٣).
(٢) قطف الثمر في بيان عقيدة أهل الأثر (ص/١٤٢).
(٣) الآداب الشرعية لابن مفلح (٣/٧٧).
(٤) الإبانة (٢/٤٨٢).
(٥) شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة (١/٦٠).

هذه العقيدة، ولذلك كانت التربية والنشأة على مثل هذه الأفكار يصعب الرجوع عنها، ولذلك – أيضاً – زاد اهتمام السلف بالناشئة والشباب بالتوجيه والتحذير وحسن التربية حتى لا تكون تربيتهم مخالفة للسنة، وهذا هو السبب عينه في حرص أصحاب الفكر التكفيري على الشباب وتعليمهم هذه الأفكار، قال ابن القيم – رحمه الله –: "مانع الإلف والعادة والمنشأ فإن العادة قد تقوى حتى تغلب حكم الطبيعة، ولهذا قيل هي طبيعة ثانية، فيربى الرجل على المقالة، وينشأ عليها صغيراً، فيتربى قلبه ونفسه عليها كما يتربى لحمه وعظمه على الغذاء المعتاد، ولا يعقل نفسه إلا عليها، ثم يأتيه العلم وهلة واحدة يريد إزالتها وإخراجها من قلبه، وإن يسكن موضعها فيعسر عليه الانتقال، ويصعب عليه الزوال، وهذا السبب وإن كان أضعف الأسباب معنى؛ فهو أغلبها على الأمم وأرباب المقالات والنحل، ليس مع أكثرهم بل جميعهم إلا ما عسى أن يشذ إلا عادة ومربي تربى عليه طفلاً لا يعرف غيرها ولا يحسن به، فدين العوائد هو الغالب على أكثر الناس، فالانتقال عنه كالانتقال عن الطبيعة إلى طبيعة ثانية[1]"، وقال الشيخ عبدالرحمن المعلمي – رحمه الله –: "ومن مارس مذهباً من المذاهب برهة من الزمان، ونشأ عليه؛ فإنه يجزم بصحته، وبطلان ما يخالفه[2]".

وذكر بعض العلماء أن من أسباب انتشار المذهب الخارجي في بعض البلدان دعاة السوء، ومن ذلك أن علياً – رضي الله عنه – قاتل الخوارج "بالنهروان مقاتلة شديدة فما انفلت منهم إلا أقل من عشرة، وما قتل من المسلمين إلا أقل من عشرة، فانهزم اثنان منهم إلى عمان، واثنان إلى كرمان، واثنان إلى سجستان، واثنان إلى الجزيرة، وواحد إلى تل مورون باليمن،

(١) مفتاح دار السعادة (٩٨/١).
(٢) التنكيل (٢٣٢/٢).

وظهرت بدع الخوارج في هذه المواضع منهم وبقيت إلى اليوم[1]"، وهذا يدل على خطورة أهل البدع الضلال على عقائد الناس، حيث حرفوهم عن السنة.

وتجد هذا جلياً في تراجم هؤلاء من قديم الزمان وحديثه؛ تجد أن من أسباب ضلاله بعده عن علماء السنة، وأخذه عن المخالف لعقيدة أهل السنة والجماعة ومخالطتهم، بل قد تجد بعضهم عنده علم شرعي صحيح أخذه عن الثقات، ثم حصل له الضلال بسبب المخالطة والتلقي عن المخالفين، فعمران بن حطان –وهو من رؤوس الخوارج كما وصفه الذهبي[2]– قال عنه عثمان البتّي – رحمه الله –: "كان من أهل السنة، فقدم غلام من أهل عُمان كأنه نصل وقَلَبَه في مجلس[3]"، وقال عنه يعقوب بن شيبة – رحمه الله –: ".. وصار في آخر أمره أن رأى رأي الخوارج، وكان سبب ذلك فيما بلغنا أن ابنة عم له رأت رأي الخوارج فتزوجها ليردها عن ذلك فصرفته إلى مذهبها[4]"، فتأمل كيف كانت نيته عند تزوجه بها؛ حيث أراد ردّها للمذهب الحق فصدّته عنه، مع ما عند عمران من العلم، حيث إنه أدرك جماعة من أصحاب النبي ﷺ.

ومن هؤلاء عمرو بن عبيد، فإنه جالس الحسن واشتهر بصحبته، ثم أزاله واصل بن عطاء عن مذهب أهل السنة، وقال بالقدر ودعا إليه، واعتزل أصحاب الحديث[5].

ومن هؤلاء ابن عقيل، وهو القائل: "وكان أصحابنا الحنابلة يريدون مني هجران جماعة من العلماء، وكان ذلك يحرمني علماً نافعاً"، قال الذهبي معلقاً: "كانوا ينهونه عن مجالسة المعتزلة، ويأبى حتى وقع في حبائلهم،

(١) الملل والنحل للشهرستاني (١/١١٤).
(٢) سير أعلام النبلاء (٤/٢١٤).
(٣) انظر: تاريخ دمشق (٤٣/٤٩٠)، وتهذيب التهذيب (٨/١١٣).
(٤) انظر: المراجع السابقة.
(٥) انظر: تاريخ بغداد (١٢/١٦٦)، وتاريخ الإسلام (٩/٩٤٥).

وتجسر على تأويل النصوص، نسأل الله السلامة[1]".

ومن الحوادث المذكورة في التاريخ قصة عكرمة، فعن أبي الأسود قال: "كنت أول من سبّب لعكرمة الخروج إلى المغرب، وذلك أني قدمت من مصر إلى المدينة، فلقيني عكرمة، وسألني عن أهل المغرب، فأخبرته بغفلتهم، قال: فخرج إليهم، وكان أول ما أحدث فيهم رأي الصفرية[2]"، وقال يحيى بن بكير: "قدم عكرمة مصر ونزل هذه الدار، وخرج إلى المغرب، فالخوارج الذين بالمغرب عنه أخذوا[3]"، وقال الإمام أحمد: "وإنما أخذ أهل إفريقية رأي الصفرية من عكرمة لما قدم عليهم[4]"، وقد ذكر بعض العلماء أن الخوارج قد اشتهروا بفصاحة اللسان وقوة الأسلوب، والدعاء إلى مذهبهم بصورة شيقة تجذب إليهم القلوب[5]، ولذلك حصل التأثير الشديد لدى من لم يكن عنده علم صحيح.

ولنا – أيضاً – في قصة ياقوت الحموي عبرة، فإنه قرأ كتب الخوارج فانحرف، قال الذهبي – رحمه الله –: "وكان منحرفاً، فإنّه طالع كتب الخوارج، فوقر في ذهنه شيء[6]"، وقال ابن العماد – رحمه الله –: "وكان متعصباً على علي – رضي الله عنه – ، وكان قد اطلع على شيء من كتب الخوارج فعلق في ذهنه منها طرف قوي[7]".

(١) سير أعلام النبلاء (١٩/٤٤٧)، وقد أعلن توبته مما وقع فيه من الاعتزال. انظر: تحريم النظر في كتب الكلام لابن قدامة المقدسي (ص/٣٣).
(٢) سير أعلام النبلاء (٥/٢٠).
(٣) سير أعلام النبلاء (٥/٢١).
(٤) سير أعلام النبلاء (٥/٣٠).
(٥) انظر: الخوارج للدكتور غالب العواجي (ص/٢١٣).
(٦) تاريخ الإسلام (٤٥/٢٦٦).
(٧) شذرات الذهب (٥/١٢١).

وقد تأثر اليوم كثير من الشباب بهذا الفكر المنحرف جراء تداخلهم وانتمائهم لفرق وجماعات وأحزاب ومناهج مشبوهة وضالة، تحمل الأفكار المنحرفة، فانضووا تحت رايتهم، فأخذوا تلك الأفكار عنهم، بطرق مختلفة، –وبعضها لم يكن متهيئاً في السابق–، كالتلقي مشافهة عن دعاة التكفير، أو عن طريق قراءة الكتب المنحرفة، وسماع الأشرطة المضللة، ومشاهدة القنوات المحرضة، أو عن طريق الشبكة العنكبوتية "الإنترنت"، حيث وجدت مواقع عبر الشبكة العنكبوتية تلقي الأفكار التكفيرية، ولها منظرون مجهولون، لا يريدون إلا الإخلال بعقيدة الشباب والتشويش عليهم، وتحريضهم على التكفير والتفجير، وتصور لهم الجهاد تصويراً مخالفاً لمنهج السلف، وتمجد أهل الباطل، ناهيك عن تسفيه العلماء والطعن عليهم ووصفهم بالصفات المنفرة، ولذا كان الكثير من الشباب قد تأثروا بهذه المواقع، وحملوا من الشبهات الشيء الكثير، ولا سيما من فتاوى المجاهيل والمنحرفين، حيث إن في الشبكة العنكبوتية سهولة إشاعة الأفكار، وتبادل الآراء، والتلقي عن التكفيريين، بل ونشر الكتب المنحرفة، وأصبحت بعض المواقع الإلكترونية لهؤلاء التكفيريين تنشر الأفكار التكفيرية، بل وتحرض – أيضاً – على التفجير وذلك بتعليم صناعة المتفجرات، وتقوم بتسهيل اللقاء برؤوس التكفير المعاصرين، وتنشر آراءهم.

ولا نغفل جانب الكتب التحريضية، والتي تؤصل التكفير للمجتمعات والأفراد دون معرفة بشروط التكفير وموانعه، بل تطلق عنان التكفير لكل الناس، وقد أثرت تلك الكتب بأفكار الكثير من الشباب، فأخذوا يستقون منها وينهلون من معينها الكدر، مع سهولة الحصول عليها في هذا الزمان، وقد اعترف مجموعة من الشباب – في التلفاز السعودي– بأن السبب في قولهم بالتكفير هو الكتب المضللة والاطلاع عليها، والكثير من هذه الكتب

يطرحها أصحابها على أنها عقيدة أهل السنة والجماعة تلبيساً على من يقرأها، وقد حظيت فعلاً بالقبول وخدع فيها الكثير.

وفي قصة عمر بن الخطاب – رضي الله عنه – لما رأى النبي – ﷺ – معه صحيفة فيها شيء من التوراة، وقال له: «أفي شك أنت يا ابن الخطاب؟[1]»؛ ألحق العلماء في ذلك كتب الخوارج[2]، وما ذلك إلا للخطر العظيم على عقيدة المسلم، ولئلا يتأثر بها من قرأها، فتستقر البدعة في قلبه، وكذلك قول كعب بن مالك – رضي الله عنه – في شأن تلك الصحيفة التي جاءته تطلبه اللحاق بالكفار: "فتيمّمت بها التنور[3]"، فألحقوا بها الكتب التي يخشى منها الضرر، فالحزم المبادرة إلى إتلافها وإعدامها[4]، ومنها بلا شك الكتب المحرضة على التكفير، والآثار الواردة عن السلف والأئمة في معاملة هذه الكتب لا تحصى كثرة، وفيها تحذير بليغ، حيث إنهم أفتوا بإتلافها؛ بحرقها بالنار أو غسلها بالماء حتى ينمحي أثر الكتابة، وتمزيقها وإعدامها، وإذهاب أعيانها متى وجدت، وأنه لا ضمان على من حرقها وأتلفها، وذلك للمصلحة العامة في الدين بمحو العقائد المضلة[5].

وهذا التلقي بهذه الطرق المختلفة أورث شباباً مطلعاً على آراء الخوارج دون حصانة علمية تحولهم دون الوقوع في الهلكة، ومثل هذه الكتب تربى الكثير

(١) أخرجه أحمد في مسنده (٣/٣٨٧)، والدارمي في مقدمة سننه (١/١١٥)، وابن أبي عاصم في السنة (١/٢٧)، وحسنه الألباني في إرواء الغليل (٦/٣٤).

(٢) انظر: شرح منتهى الإرادات للبهوتي (٢/٤٠٢)، ومطالب أولي النهى في شرح غاية المنتهى للرحيباني (٤/٢٨٤).

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه، ك: المغازي، باب: حديث كعب بن مالك، (ص/٧٤٩)، رقم (٤٤١٨)، ومسلم في صحيحه، ك: التوبة، باب: حديث توبة كعب بن مالك وصاحبيه (ص/٧٠٠)، رقم (٢٧٦٩)، عن كعب بن مالك رضي الله عنه.

(٤) انظر: زاد المعاد (٣/٥٨١).

(٥) انظر: العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين (٢/١٨٠–١٨١)، والطرق الحكمية لابن القيم (ص/٢٣٣).

من الشباب عليها، فاستقوا الفكر التكفيري منها، حتى إنهم لم يدرسوا عقيدة السلف من الكتب المعتمدة المشهورة، ولم يستنيروا بنورها، بل قد تجدهم يهونون من شأن هذه الكتب ويصفونها بالكتب الصفراء، ويستهينون بها كشأن الخوارج الأوائل الذين أبغضوا كتب السلف، قال الشاطبي – رحمه الله –: "فإنهم أخذوا أنفسهم بقراءة القرآن وإقرائه حتى ابتدعوا فيه ثم لم يتفقهوا فيه، ولا عرفوا مقاصده، ولذلك طرحوا كتب العلماء، وسموها كتب الرأي وخرقوها ومزقوا أدمها، مع أن الفقهاء هم الذين بينوا في كتبهم معاني الكتاب والسنة على الوجه الذي ينبغي[1]".

يقول الدكتور علي شايع النفيسة[2] جواباً عن سؤال: كيف وصلت هذه الأفكار المغلوطة إلى عقول هؤلاء الشباب؟ قال: "هذه الأفكار المغلوطة وصلت إلى أذهان الشباب بعدة طرق منها الفتاوى التحريضية لمشايخ هذا التنظيم العدواني، وكذلك عن طريق الكتابات المغرضة من قبل المحرضين عبر الإنترنت بأسماء مستعارة تبتر النصوص وتدلس في النقل والقول على العلماء والإتيان بالأكاذيب من الوقائع المكذوبة لدعم مقصودها الخبيث، وكذلك بعض المؤلفات الكيدية لهذه البلاد وحكامها وشعبها لما أنعم الله به عليها من نعم في شتى المجالات"، وقال بخصوص تأثير الأشرطة والمحاضرات الحماسية ممن يحمل الفكر التكفيري: "أما الشريط الإسلامي والمحاضرات الحماسية فلا شك أن لها دوراً في زيادة الحماس والعاطفة الدينية التي إذا لم تضبط بضوابط الشرع فإنها ستنقلب إلى عاصفة هوجاء، ويعود هذا الجو الذي يكتنف سماع تلك الأشرطة أو مشاهدتها إذا كانت مرئية وما تحتويه

(١) الاعتصام (١/٤٤٦).

(٢) مدير التوجيه والتوعية بوزارة الداخلية، واللقاء في صحيفة الرياض العدد ١٣٦٨٢، تاريخ ١٤٢٦/١١/٧هـ.

من مادة قد يعمد البعض إلى إضافة بعض المؤثرات فيها بحيث تؤجج المشاعر العاطفية خصوصاً لدى الشباب من صغار السن مع استهدافهم بالشحن العدائي تجاه أهداف محددة مما يجعل منهم أدوات للدمار، وهذا الكلام لا أقوله تجنياً إنما من واقع قصص ذكرها لي بعض الشباب من أسباب اندفاعهم وتورطهم"، قال الشيخ بكر أبو زيد – رحمه الله –: "ولا تحشر مكتبتك وتشوش على فكرك بالكتب الغثائية، لا سيما كتب المبتدعة، فإنها سم ناقع[1]، ويجلي لنا الشيخ صالح الفوزان – حفظه الله – حقيقة دخول الأفكار التكفيرية لبلادنا وسببه، حيث إن التلقي عن المنحرفين وقراءة كتبهم هو أعظم سبب لهذا الانحراف، فيقول: "يوم أن كان أهل هذه البلاد مرتبطين بعلمائهم شباباً وشيباً كانت الحالة حسنة ومستقيمة، وكانت لا تأتي إليهم أفكار من الخارج وكان هذا هو السبب في الوحدة والتآلف، وكانوا يثقون بعلمائهم وقادتهم وعقلائهم وكانوا جماعة واحدة، وعلى حالة طيبة حتى جاءت الأفكار من الخارج عن سبيل الأشخاص القادمين أو عن سبيل بعض الكتب أو بعض المجلات أو بعض الإذاعات وتلقاها الشباب وحصلت الفرقة؛ لأن هؤلاء الشباب الذين شذوا عن المنهج السلفي في الدعوة إنما تأثروا بهذه الأفكار الوافدة من الخارج.. فالسبب في هذه الفرقة يرجع إلى الأفكار والمناهج الدعوية من غير علماء هذه البلاد، من أناس مشبوهين أو أناس مضللين.."[2]".

وأختم هذا المبحث بذكر كلام مهم للعلامة ابن القيم رحمه الله حيث قال ناصحاً: "ومن أراد هذا السفر فعليه بمرافقة الأموات الذين هم في العالَم أحياء، فإنه يبلغ بمرافقتهم إلى مقصده، وليحذر من مرافقة الأحياء الذين هم

(١) حلية طالب العلم (ص/٣٨).

(٢) الأجوبة المفيدة عن أسئلة المناهج الجديدة (ص/٤٩–٥٠).

في الناس أموات، فإنهم يقطعون عليه طريقه، فليس لهذا السالك أنفع من تلك المرافقة، وأوفق له من هذه المفارقة، فقد قال بعض السلف: شتان بين أقوام موتى تحيى القلوب بذكرهم، وبين أقوام أحياء تموت القلوب بمخالطتهم، فما على العبد أضر من عشائره وأبناء جنسه، فنظره قاصر، وهمته واقفة عند التشبه بهم، ومباهاتهم والسلوك أين سلكوا، حتى لو دخلوا جحر ضب لأحبَّ أن يدخله معهم[1]".

(١) الرسالة التبوكية (ص/٨٦).

الخاتمة

أحمد الله – تعالى – على ما منّ به علي من إتمام هذا البحث، وها أنا أعرض هنا أهم النتائج التي توصلت إليها:

١- أن التكفير الباطل له أسباب عديدة، وقد تجتمع كلها أو بعضها في حق الأفراد والجماعات.

٢- أن هذه الأسباب يشترك فيها المتقدمون والمتأخرون ممن يكفر بالباطل، وأول من اتصف بها الخوارج الأوائل، ثم من بعدهم من الفرق والجماعات والأحزاب.

٣- تنزه أهل السنة عن هذه الأسباب بسبب التزامهم بالنصوص الشرعية من الكتاب والسنة على فهم السلف الصالح، وبذا سلمت عقيدتهم في باب الأسماء والأحكام، كما هو الشأن في بقية أبواب الاعتقاد.

٤- أهمية دراسة مسائل التكفير على وفق فهم السلف الصالح، ووجوب النظر في تفسير النصوص الواردة في الكفر والإيمان على التفاسير المعتمدة.

٥- أن هذه الأسباب دلت النصوص الشرعية على ذمها والتحذير منها في العموم، ومع ذلك وقع فيها كثير من المتقدمين والمتأخرين.

٦- سبب الجهل في التكفير أدى إلى إطلاق حكم التكفير على من لا يستحقه من المسلمين، وأصبح صغار طلاب العلم والعوام يلجون هذا الباب.

٧- تربى الكثير من الشباب اليوم على أفكار الخوارج والمعتزلة من حيث لا يشعرون، وأكثر ما تنسب هذه الأفكار للسلف الصالح ولمذهب أهل السنة والجماعة.

٨- وجدت أسباب عديدة أدت على الجهل لدى من كفر بالباطل، من أشهرها محاربة العلماء ووصفهم بالصفات المنفرة حتى لا يتأثر بهم الناس، ومنها الجهل بمذهب السلف الصالح والنظرة السيئة إليهم أحياناً.

٩- وجود أمثلة عديدة في التاريخ الإسلامي كفر فيها هؤلاء المسلمين بالجهل.

١٠- داء الهوى خطير، وهو الانفلات من الدليل وعدم اتباعه، وكان التكفير به في الغالب من أجل التشفي من المخالف، والشهوة، وهو أبرز صفات أهل الأهواء والبدع.

١١- تفسير النصوص الخاطيء (التأويل الفاسد) أدى للخلل في التلقي الصحيح، ولذا كان أكثر الفرق المنتسبة إلى الإسلام تستدل بالنصوص لكن على غير فهم السلف الصالح.

١٢- أن كثيراً من النصوص التي أولها المكفرون بالباطل تأويلاً فاسداً اشترك في الاستدلال بها المتقدمون والمتأخرون، وقد أجاب عن أكثرها السلف الصالح لما جادلوا الخوراج أو ردوا عليهم.

١٣- مخالطة الجماعات المنحرفة والتلقي عن أصحابها في باب التكفير يشتمل على أمور عديدة منها التلقي مشافهة، أو قراءة كتبهم، ومن أخطرها اليوم مواقع الشبكة العنكبوتية "الانترنت" التي نشر فيها الضُّلال مقالتهم وشبههم.

١٤- تحذير السلف والأئمة من قديم الزمان من مخالطة أهل الأهواء والبدع من أجل حصانة المعتقد وحفظه من الخلل، وقد وجد عبر التاريخ من اختلط بأهل الأفكار الضالة وسلك في سبيلهم بعد أن كان سنياً.

فهرس المصادر والمراجع

- القرآن الكريم.
- الإبانة عن شريعة الفرقة الناجية ومجانبة الفرق المذمومة تأليف الإمام أبو عبدالله عبيدالله بن محمد بن بطة العكبري، تحقيق ودراسة رضا نعسان وغيره، دار الراية–الرياض، ط: الثانية، ١٤١٥هـ.
- الاتجهات المنحرفة في تفسير القرآن الكريم دوافعها ودفعها، تأليف الدكتور محمد الذهبي، مكتبة وهبة – القاهرة.
- الأجوبة المفيدة عن أسئلة المناهج الجديدة، من إجابات الشيخ صالح الفوزان، جمع جمال الحارثي، دار المنهاج، ط: الرابعة، ١٤٢٦هـ.
- الإخوان المسلمون في ميزان الحق لفريد عبدالخالق، الأهرام للطبع والنشر، ط: الأولى، ١٩٩٢م.
- الآداب الشرعية تأليف الإمام عبدالله محمد بن مفلح المقدسي، تحقيق شعيب الأرناؤوط وعمر القيام، مؤسسة الرسالة، ط: الثالثة، ١٤١٩هـ.
- الأدب المفرد، تأليف الحافظ محمد بن إسماعيل البخاري، تحقيق سمير بن أمين الزهيري، مكتبة المعارف، الرياض، ط الأولى، ١٤١٩هـ.
- الإرشاد إلى معرفة الأحكام، لعبدالرحمن السعدي، مكتبة المعارف–الرياض، ١٤٠٠هـ.
- إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل، تأليف محمد ناصر الدين الألباني، إشراف محمد زهير الشاويش، المكتب الإسلامي، بيروت، ط الثانية، ١٤٠٥هـ.
- الاستذكار الجامع لمذاهب فقهاء الأمصار، تأليف أبو عمر يوسف بن عبد الله بن عبد البر النمري القرطبي، تحقيق سالم عطا ومحمد معوض، دار الكتب العلمية–بيروت، ٢٠٠٠م.
- الاستقامة تأليف أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني أبو العباس، تحقيق محمد رشاد سالم، جامعة الإمام محمد بن سعود–الرياض، ط: الأولى، ١٤٠٣هـ.

- أصول الدين تأليف عبدالقاهر بن طاهر البغدادي، دار الكتب العلمية–بيروت، ط: الثالثة، ١٤٠١هـ.
- الأصول الستة للإمام محمد بن عبدالوهاب ضمن كشف الشبهات بشرح الشيخ محمد بن صالح بن عثيمين، دار الثريا–الرياض، ط: الأولى، ١٤١٦هـ.
- الاعتصام تأليف إبراهيم بن موسى الشاطبي، تحقيق سليم الهلالي
- إعلام الموقعين عن رب العالمين، تأليف شمس الدين أبو عبدالله محمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية، تحقيق محمد عبدالسلام، دار الكتب العلمية–بيروت، ط: الثانية، ١٤١٤هـ.
- إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان تأليف الحافظ أبو عبدالله محمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية، تحقيق محمد حامد الفقي، دار المعرفة–بيروت، ط: الثانية، ١٣٩٥هـ.
- إكمال المعلم بفوائد مسلم تأليف أبو الفضل عياض بن موسى اليحصبي، تحقيق يحيى إسماعيل، دار الوفاء، ط: الأولى، ١٤١٩هـ.
- الإيمان الأوسط تأليف شيخ الإسلام أحمد بن عبدالحليم بن تيمية، تحقيق محمود أبو سن، دار طيبة للنشر–الرياض، ط: الأولى ١٤٢٢هـ.
- البدع والنهي عنها للإمام محمد بن وضاح دار الصميعي الرياض، ط:الأولى، ١٤١٦هـ.
- البرهان في علوم القرآن، تأليف بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية عيسى البابى الحلبي وشركائه، ط: الأولى.
- البرهان في معرفة عقائد أهل الإيمان، تأليف العلامة أبو الفضل عباس بن منصور السكسكي، تحقيق بسام العموش، مكتبة المنار، ط: الأولى، ١٤٠٨هـ.
- تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، تأليف شمس الدين محمد بن أحمد الذهبي، تحقيق د. عمر عبد السلام تدمري، دار الكتاب العربي– بيروت، ط:الأولى، ١٤٠٧هـ.

- تاريخ المذاهب الإسلامية تأليف محمد أبو زهرة، دار الفكر العربي – مطبعة السعادة.
- تاريخ بغداد أو مدينة السلام، تأليف أبي بكر أحمد بن علي الخطيب البغدادي، دراسة وتحقيق مصطفى عبدالقادر عطا، دار الكتب العلمية– بيروت، ط: الأولى، ١٤١٧هـ.
- تاريخ دمشق وذكر فضلها ومن حلها من الأماثل، تأليف أبي القاسم علي بن الحسن بن هبة الله الشافعي، تحقيق محب الدين أبي سعيد عمر غرامة، دار الفكر، بيروت، ١٩٩٥م.
- تبيين كذب المفتري فيما نسب إلى الإمام أبي الحسن الأشعري، تأليف علي بن الحسن بن هبة الله بن عساكر الدمشقي، دار الكتاب العربي – بيروت، ط: الثالثة، ١٤٠٤هـ.
- تحريم النظر في كتب الكلام، تأليف أبو محمد عبدالله بن أحمد بن محمد بن قدامة، تحقيق عبد الرحمن بن محمد سعيد دمشقية، دار عالم المكتب– الرياض، ط: الأولى، ١٩٩٠.
- تعظيم قدر الصلاة، تأليف الإمام محمد بن نصر المروزي، تحقيق أبي مالك كمال بن السيد سالم، مكتبة العلم، القاهرة، ط الأولى، ١٤٢١هـ.
- تفسير ابن أبى حاتم، تأليف الإمام الحافظ أبي محمد عبد الرحمن بن أبي حاتم الرازي، المكتبة العصرية، صيدا، تحقيق أسعد محمد الطيب.
- تفسير ابن كثير، تأليف أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي، تحقيق سامي بن محمد سلامة، دار طيبة، ط: الثانية، ١٤٢٠هـ.
- تفسير البغوي، معالم التنزيل، تأليف أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي، تحقيق محمد عبدالله النمر وغيره، دار طيبة للنشر والتوزيع، ط: الرابعة، ١٤١٧هـ.
- تفسير السعدي، تيسير الكريم المنان في تفسير كلام المنان، تأليف الشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي،تحقيق عبد الرحمن اللويحق، مؤسسة الرسالة– بيروت،ط: الأولى ١٤٢٠هـ

- تفسير الصنعاني، تفسير القرآن، تأليف عبد الرزاق بن همام الصنعاني، تحقيق مصطفى مسلم محمد، مكتبة الرشد–الرياض، ط: الأولى، ١٤٢٠هـ.
- تفسير الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، تأليف محمد بن جرير أبو جعفر الطبري، تحقيق أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة–بيروت، ط: الأولى، ١٤٢٠هـ.
- تفسير القرآن العظيم، تأليف الإمام الحافظ عماد الدين أبي الفداء إسماعيل بن كثير القرشي، دار الحديث، ط السابعة، ١٤١٤هـ.
- تفسير القرطبي، المسمى الجامع لأحكام القرآن، تأليف أبي عبدالله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط الثانية، ١٤٠٥هـ.
- التفسير والمفسرون لمحمد حسين الذهبي، دار الكتب الحديثة–القاهرة، ط: الثانية، ١٣٩٦
- التكفير في ضوء السنة النبوية، تأليف باسم بن فيصل الجوابرة، جائزة نايف بن عبدالعزيز آل سعود العالمية للسنة النبوية والدراسات الإسلامية المعاصرة، ط: الأولى، ١٤٢٧هـ.
- التكفير وضوابطه للشيخ صالح الفوزان، اعتنى به أبو عبدالرحمن عادل الفريدان، دار الإمام أحمد–مصر، ط: الأولى.
- التكفير وضوابطه، تأليف د. إبراهيم بن عامر الرحيلي، دار الإمام البخاري–قطر، ط: الأولى، ١٤٢٦هـ.
- التكفير، جذوره، أسبابه، مبرراته للدكتور نعمان السامرائي
- تلبيس إبليس، تأليف جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت، ط: الأولى، ١٤٢١هـ.
- تلخيص كتاب الاستغاثة، المعروف بالرد على البكري، لشيخ الإسلام ابن تيمية، لخصه الحافظ ابن كثير، تحقيق أبو عبدالرحمن محمد بن علي عجال، مكتبة الغرباء الأثرية–المدينة، ط: الأولى، ١٤١٧هـ.
- التنبيه والرد على أهل الأهواء والبدع للإمام أبي الحسين محمد بن أحمد الملطي

الشافعي، تحقيق د. محمد زينهم محمد عزب، مكتبة مدبولي–القاهرة.
- تهذيب التهذيب، تأليف الحافظ أبي الفضل أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، اعتناء إبراهيم الزيبق، وعادل مرشد، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط الأولى، ١٤١٦هـ.
- تهذيب اللغة تأليف العلامة أبو منصور محمد بن أحمد الأزهري، تحقيق عبدالسلام هارون ومحمد النجار، الدار المصرية.
- جامع العلوم والحكم، تأليف أبو الفرج عبدالرحمن بن أحمد بن رجب الحنبلي، دار المعرفة–بيروت، ط: الأولى، ١٤٠٨هـ.
- جامع بيان العلم وفضله، تأليف أبي عمر يوسف النمري القرطبي، دراسة وتحقيق أبو عبد الرحمن فواز أحمد زمرلي، مؤسسة الريان–دار ابن حزم، ط: الأولى ١٤٢٤هـ.
- جناية التأويل الفاسد على العقيدة الإسلامية، تأليف الدكتور محمد أحمد لوح، دار ابن عفان، ط: الأولى، ١٤١٨هـ.
- الحجة في بيان المحجة وشرح عقيدة أهل السنة، تأليف قوام السنة أبي القاسم إسماعيل بن محمد الأصبهاني، تحقيق محمد ربيع المدخلي دار الراية–الرياض، ط: الثانية، ١٤١٩هـ.
- حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، تأليف أبو نعيم أحمد بن عبدالله الأصبهاني، دار الكتاب العربي–بيروت، ط: الرابعة، ١٤٠٥هـ.
- الخوارج تاريخهم وآراؤهم الاعتقادية وموقف الإسلام منها، تأليف الدكتور غالب بن علي عواجي، رسالة ماجستير، جامعة الملك عبدالعزيز، ١٣٩٨هـ.
- درء تعارض العقل والنقل، تأليف أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني أبو العباس، تحقيق محمد رشاد سالم، دار الكنوز الأدبية–الرياض، ١٣٩١هـ.
- الدرر السنية في الأجوبة النجدية مجموعة رسائل ومسائل علماء نجد الأعلام، جمع الشيخ عبدالرحمن بن محمد الحنلي النجدي، ط: السابعة، ١٤٢٥هـ.
- ذم الكلام وأهله، تأليف شيخ الإسلام أبو إسماعيل عبدالله بن محمد الهروي،

تحقيق عبدالرحمن بن عبدالعزيز الشبل، مكتبة العلوم والحكم–المدينة، ط: الأولى، ١٤١٨هـ.

- الرد الوافر، تأليف محمد بن أبي بكر الدمشقي، تحقيق زهير الشاويش، المكتب الإسلامي–بيروت، ط: الأولى، ١٣٩٣هـ.
- الرسالة التبوكية، تأليف شمس الدين أبي عبدالله محمد بن أبي بكر الشهير بابن قيم الجوزية، تحقيق سليم الهلالي، دار ابن حزم–بيروت، ط: الأولى، ١٤١٩هـ.
- رسالة السجزي إلى أهل زبيد في الرد على من أنكر الحرف والصوت، تأليف الشيخ الإمام أبي نصر عبيد الله بن سعيد السجزي، تحقيق ودراسة د. محمد باكريم محمد باعبدالله، دار الراية–الرياض، ط: الأولى، ١٤١٤هـ.
- الرسالة تأليف الإمام محمد بن إدريس الشافعي، تحقيق أحمد محمد شاكر، دار الكتب العلمية–بيروت.
- زاد المعاد في هدي خير العباد، تأليف العلامة ابن قيم الجوزية، تحقيق شعيب الأرناؤوط وعبدالقادر الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة–بيروت، ط: السادسة والعشرون، ١٤١٢هـ.
- الزهد تأليف عبدالله بن المبارك بن واضح المروزي، تحقيق حبيب الرحمن الأعظمي، دار الكتب العلمية–بيروت.
- سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها، تأليف محمد ناصر الدين الألباني، مكتبة المعارف، الرياض، ١٤١٥هـ.
- السنة للإمام أبي بكر أحمد بن عمرو بن أبي عاصم، تحقيق باسم بن فيصل الجوابرة، دار الصميعي للنشر والتوزيع، الرياض، ط الأولى، ١٤١٩هـ.
- سنن ابن ماجه، الحافظ أبي عبدالله محمد بن يزيد القزويني، تحقيق محمد فؤاد عبدالباقي، دار الفكر، بدون سنة طبع.
- سنن أبي داود، الإمام الحافظ سليمان بن الأشعث السجستاني، إعداد وتعليق عزت عبيد دعاس، دار الحديث–سوريا، ط: الأولى، ١٣٨٨هـ.
- سنن الدارمي، تأليف عبدالله بن عبدالرحمن أبو محمد الدارمي، تحقيق فواز أحمد

زمرلي، خالد السبع العلمي، دار الكتاب العربي–بيروت، ط: الأولى ١٤٠٧هـ.

- السنن الكبرى وفي ذيله الجوهر النقي، تأليف أبي بكر أحمد بن الحسين بن علي البيهقي، ومؤلف الجوهر النقي علاء الدين علي بن عثمان المارديني الشهير بابن التركماني، مجلس دائرة المعارف النظامية، الهند بلدة حيدر آباد، ط الأولى، ١٣٤٤ هـ.
- السنن الكبرى، تأليف الإمام أبي عبدالرحمن أحمد بن شعيب النسائي، تحقيق حسن عبدالمنعم شلبي، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر، ط الأولى ١٤٢٢هـ.
- السنن الواردة في الفتن وغوائلها والساعة وأشراطها، تأليف أبو عمرو عثمان بن سعيد المقرئ الداني، تحقيق د. ضياء الله محمد المباركفوري، دار العاصمة–الرياض، ط: الأولى، ١٤١٦هـ.
- سير أعلام النبلاء، تأليف الإمام شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، تحقيق شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط الحادية عشرة، ١٤١٧هـ.
- شذرات الذهب في أخبار من ذهب، تأليف أبي الفلاح عبدالحي بن العماد الحنبلي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، بدون سنة طبع.
- شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة من الكتاب والسنة وإجماع الصحابة والتابعين ومن بعدهم، تأليف الإمام الحافظ أبي القاسم هبة الله بن الحسن بن منصور الطبري اللالكائي، تحقيق أحمد بن سعد الغامدي، دار طيبة، الرياض، ط الرابعة، ١٤١٦هـ.
- شرح الأصول الخمسة للقاضي عبدالجبار، اعتنى بها سمير مصطفى رباب، دار إحياء التراث العربي–بيروت، ط: الأولى.
- شرح الزرقاني على موطأ الإمام مالك، تأليف محمد بن عبدالباقي الزرقاني، دار الكتب العلمية–بيروت، ١٤١١هـ.
- شرح السنة، تأليف الحسين بن مسعود البغوي، تحقيق شعيب الأرناؤوط، ومحمد زهير الشاويش، المكتب الإسلامي، بيروت، ط الثانية، ١٤٠٣هـ.

- شرح العقيدة الطحاوية، تأليف ابن أبي العز الحنفي، تحقيق محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي–بيروت، ط: الثانية، ١٤١٤هـ.
- شرح صحيح البخاري تأليف أبو الحسن علي بن خلف بن عبد الملك بن بطال البكري القرطبي، تحقيق أبو تميم ياسر بن إبراهيم مكتبة الرشد–الرياض، ط: الثانية، ١٤٢٣هـ.
- شرح منتهى الإرادات، المسمى دقائق أولي النهى لشرح المنتهى، تأليف منصور بن يونس بن إدريس البهوتي، عالم الكتب–بيروت، ١٩٩٦م.
- الشرح والإبانة على أصول السنة والديانة، للإمام أبي عبدالله عبيدالله بن بطة العكبري، تحقيق ودراسة رضا نعسان معطي، مكتبة العلوم والحكم–المدينة، ط: الأولى، ١٤٢٣هـ
- شعب الإيمان للبيهقي، تأليف أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي، تحقيق محمد السعيد بسيوني زغلول، دار الكتب العلمية–بيروت، ط: الأولى، ١٤١٠هـ.
- شعب الإيمان، تأليف أبي بكر أحمد بن الحسين البيهقي، تحقيق محمد السعيد بسيوني زغلول، دار الكتب العلمية، بيروت، ط الأولى، ١٤١٠هـ.
- الشفا بتعريف حقوق المصطفى، تأليف القاضي عياض، تحقيق علي محمد البجاوي، دار الكتاب العربي–بيروت.
- صحيح ابن حبان للحافظ محمد بن حبان أبو حاتم التميمي البستي، تحقيق شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة–بيروت، ط: الثانية، ١٤١٤هـ.
- صحيح الأدب المفرد للإمام البخاري، تأليف محمد ناصر الدين الألباني، مكتبة الدليل، الجبيل، ط الثالثة، ١٤١٧هـ.
- صحيح البخاري، للإمام أبي عبدالله محمد بن إسماعيل البخاري الجعفي، دار السلام – الرياض، ط: الثانية، ١٤١٩هـ.
- صحيح الترغيب والترهيب، تأليف الشيخ محمد ناصر الدين الألباني، مكتبة المعارف–الرياض، ط: الأولى، ١٤٢١هـ.

- صحيح الجامع الصغير وزيادته، تأليف الشيخ محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي–بيروت.
- صحيح سنن ابن ماجه، تأليف محمد ناصر الدين الألباني، مكتبة المعارف، الرياض، ط الأولى، ١٤١٧هـ.
- صحيح مسلم، لإمام أبي الحسين مسلم بن الحجاج القشيري، مكتبة الرشد– الرياض، الرياض، ١٤٢٢هـ.
- صحيفة الجزيرة، ١٤٢٤/٧/١٢هـ.
- صحيفة الرياض، العدد ١٣٦٨٢، تاريخ ١٤٢٦/١١/٧هـ.
- الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة تأليف شمس الدين أبو عبدالله محمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية، تحقيق د، علي بن محمد الدخيل الله، دار العاصمة–الرياض، ط: الثانية، ١٤١٢هـ.
- الطرق الحكمية، تأليف محمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية، تحقيق محمد جميل غازي، مطبعة المدني–القاهرة.
- العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين، تأليف محمد بن أحمد الحسني، تحقيق محمد حامد الفقي، مؤسسة الرسالة–بيروت، ط: الثانية، ١٤٠٦هـ.
- عون المعبود شرح سنن أبي داود، تأليف العلامة أبي الطيب محمد شمس الحق العظيم آبادي، دار الكتب العلمية–بيروت، ط: الثانية، ١٤١٥هـ.
- غريب الحديث، تأليف حمد بن محمد بن إبراهيم الخطابي البستي، تحقيق عبدالكريم إبراهيم العزباوي، جامعة أم القرى–مكة المكرمة، ١٤٠٢هـ.
- الفئة الضالة ومنهجها، للشيخ صالح الفوزان، اعتنى به أبو عبدالرحمن عادل الفريدان، دار الإمام أحمد–مصر، ط: الأولى، ١٤٢٦هـ.
- فتاوى العلماء الأكابر فيما أهدر من دماء في الجزائر، تأليف عبدالمالك بن أحمد رمضاني، ط: الثانية، ١٤٢٢هـ.
- فتح الباري بشرح صحيح الإمام أبي عبدالله محمد بن إسماعيل البخاري، تأليف أحمد بن علي بن حجر، تحقيق محمد عبدالباقي، دار الريان للتراث– القاهرة،

ط: الثانية، ١٤٠٧.

- الفرق بين الفرق تأليف عبدالقاهر بن طاهر البغدادي، اعتنى بها إبراهيم رمضان، دار المعرفة–بيروت، ط: الأولى، ١٤١٥هـ.
- الفصل في الملل والأهواء والنحل، تأليف علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الظاهري، مكتبة الخانجي–القاهرة.
- الفقيه والمتفقه، تأليف أبو بكر أحمد بن علي الخطيب البغدادي، تحقيق عادل العزازي، دار ابن الجوزي، ط: الأولى، ١٤١٧هـ.
- في ظلال القرآن تأليف سيد قطب، دار الشروق–القاهرة.
- فيض القدير شرح الجامع الصغير، تأليف المناوي، دار الكتب العلمية–بيروت، ط: الأولى، ١٤١٥هـ.
- القواعد المثلى في صفات الله وأسمائه الحسنى تأليف الشيخ محمد بن صالح العثيمين، تحقيق أشرف بن عبدالمقصود، مكتبة السنة–القاهرة، ط: الثانية، ١٤١٤هـ.
- الكبائر تأليف أبي عبدالله محمد بن أحمد الذهبي، تحقيق مشهور حسن آل سلمان، مكتبة الفرقان–عجمان، ط: الثانية، ١٤٢٤هـ.
- كتاب الإيمان ومعالمه وسننه واستكماله ودرجاته، تأليف أبي عبيد القاسم بن سلام، تحقيق الشيخ محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي–بيروت، ط: الثانية، ١٤٠٣هـ.
- كتاب الشريعة، تأليف أبي بكر محمد بن الحسين الآجري، تحقيق عبدالله بن عمر الدميجي، دار الوطن، الرياض، ط الأولى، ١٤١٨هـ.
- الكفاية في علم الرواية، للإمام الحافظ أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت، دار الكتب العلمية–بيروت.
- الكوثري وتعليقاته، تأليف محمد بهجة البيطار،
- لسان العرب، تأليف محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري، دار الصادر–بيروت.

- متن القصيدة النونية، لمحمد بن أبي بكر بن أيوب بن قيم الجوزية، مكتبة ابن تيمية–القاهرة، ط: الثانية، ١٤١٧هـ.
- مجموع فتاوى شيخ الإسلام أحمد ابن تيمية، جمع وترتيب الشيخ عبدالرحمن بن محمد بن قاسم، وولده محمد، طبع بإشراف الرئاسة العامة لشؤون الحرمين الشريفين.
- مجموعة الرسائل والمسائل النجدية، طبع على نفقة الملك عبدالعزيز، وأعاد طبعه خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبدالعزيز، دارة الملك عبدالعزيز– الرياض، ١٤١٩هـ.
- مختار الصحاح، تأليف محمد بن أبي بكر بن عبدالقادر الرازي، تحقيق محمود خاطر، مكتبة لبنان–بيروت، ١٤١٥هـ.
- مختصر الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة لابن قيم الجوزية، اختصار محمد بن الموصلي، تحقيق الحسن العلوي، أضواء السلف–الرياض، ط: الأولى، ١٤٢٥هـ.
- مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، تأليف محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي، تحقيق محمد حامد الفقي، دار الكتاب العربي–بيروت، ط: الثانية، ١٣٩٣هـ.
- المستدرك على الصحيحين، للإمام الحافظ أبي عبدالله محمد بن عبدالله الحاكم، تحقيق مصطفى عبدالقادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط الأولى، ١٤١١هـ.
- المستدرك على مجموع فتاوى شيخ الإسلام، جمعه ورتبه وطبعه على نفقته محمد بن عبد الرحمن بن قاسم، ط: الأولى ١٤١٨هـ.
- مسند أبي يعلى، للحافظ أبي يعلى أحمد بن علي الموصلي التميمي، تحقيق حسين سليم أسد، دار المأمون للتراث–دمشق، ط: الأولى، ١٤٠٤هـ.
- مسند الإمام أحمد ابن حنبل، المشرف العام عبدالله بن عبدالمحسن التركي، تحقيق شعيب الأرناؤوط، وغيره، مؤسسة الرسالة– بيروت، ط: الثانية، ١٤٢٠هـ.

- المصنف تأليف أبي بكر عبدالرزاق بن همام الصنعاني، تحقيق حبيب الرحمن الأعظمي، المكتب الإسلامي–بيروت، ط: الثانية، ١٤٠٣هـ.
- المصنف في الأحاديث والآثار تأليف الحافظ أبي بكر عبدالله بن أبي شيبة، تحقيق محمد عبدالسلام شاهين، دار الكتب العلمية–بيروت، ط: الأولى، ١٤١٦هـ.
- مطالب أولي النهى في شرح غاية المنتهى، تأليف مصطفى السيوطي الرحيباني، المكتب الإسلامي–دمشق.
- معالم السنن تأليف الإمام أبو سليمان حمد بن محمد الخطابي، المكتبة العلمية–بيروت، ط: الثالثة، ١٤٠١هـ.
- المعجم الأوسط، تأليف أبو القاسم سليمان بن أحمد الطبراني، تحقيق: طارق بن عوض الله بن محمد ، وعبد المحسن بن إبراهيم الحسيني، دار الحرمين–القاهرة، ١٤١٥هـ.
- المعجم الصغير، تأليف سليمان بن أحمد بن أيوب أبو القاسم الطبراني، تحقيق محمد شكور محمود الحاج، المكتب الإسلامي–بيروت، ط: الأولى، ١٤٠٥هـ.
- المعجم الكبير، تأليف سليمان بن أحمد بن أيوب أبو القاسم الطبراني، تحقيق حمدي بن عبدالمجيد السلفي، دار إحياء التراث العربي، ١٤٠٤هـ.
- معجم مقاييس اللغة، تأليف أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، تحقيق عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، ١٣٩٩هـ.
- مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية أهل العلم والإرادة، تأليف العلامة ابن قيم الجوزية، دار الكتب العلمية–بيروت، ١٤١٩هـ.
- المفردات في غريب القرآن، للراغب الأصفهاني، تحقيق محمد خليل عيتاني، دار المعرفة–بيروت، ط: الأولى، ١٤١٨هـ.
- المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، تأليف الحافظ أبو العباس أحمد بن عمر القرطبي، تحقيق محمود إبراهيم بزال، دار ابن كثير–دمشق، ط: الثانية، ١٤٢٠هـ.

- مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين، تأليف أبو الحسن علي بن إسماعيل الأشعري، دار إحياء التراث العربي–بيروت، ط: الثالثة.
- الملل والنحل تأليف أبو الفتح محمد بن عبدالكريم الشهرستاني، تحقيق عبدالعزيز محمد الوكيل، دار الفكر–بيروت.
- مناهج التعليم الشرعية في المملكة العربية السعودية بين أصالة التربية ودعوات التشكيك للشيخ فالح بن جبر الفضلي، دار البصائر–الرياض، ط: الأولى، ١٤٢٥هـ.
- منهاج السنة النبوية، تأليف شيخ الإسلام أحمد بن عبدالحليم بن تيمية، تحقيق محمد رشاد سالم، مكتبة ابن تيمية–القاهرة، ط: الثانية، ١٤٠٩هـ.
- المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، تأليف أبو زكريا يحيى بن شرف النووي، دار إحياء التراث العربي–بيروت، ط: الثانية، ١٣٩٢هـ.
- منهج ابن تيمية في مسألة التكفير للدكتور عبدالمجيد بن سالم المشعبي، أضواء السلف–الرياض، ط: الأولى، ١٤١٨هـ.
- الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة، إشراف وتخطيط ومراجعة د. مانع بن حماد الجهني، دار الندوة العالمية–الرياض، ط: الثالثة، ١٤١٨هـ.
- ميزان الاعتدال في نقد الرجال، تأليف شمس الدين محمد بن أحمد الذهبي، تحقيق علي محمد البجاوي، دار المعرفة–بيروت، ط: الأولى، ١٣٨٢هـ.
- النبوات، تأليف أحمد بن تيمية الحراني، المطبعة السلفية–القاهرة، ١٣٨٦هـ.
- النهاية في غريب الحديث والأثر، تأليف أبو السعادات المبارك بن محمد الجزري المعروف بابن الأثير، تحقيق طاهر الزاوي ومحمود الطناحي، المكتبة العلمية–بيروت.